جنط شارع التحلية

مجموعة قصصية

خالد الذييب

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الذييب، خالد عبدالرحمن

جنط شارع التحلية./ خالد عبدالرحمن الذييب.- ط٤.- الرياض، ١٤٣٠هـ

١٢٨ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ١-٦٥٥-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١. القصص القصيرة العربية - السعودية أ. العنوان

ديوي ٨١٣,١٩٥٣١ ٩٦٥ / ١٤٣٠

رقم الإيداع: ٩٦٥ / ١٤٣٠

ردمك: ١-٦٥٥-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الرابعة

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

طبعة معادة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر العبيكان Obeikan **للنشر**

الرياض-شارع العليا العام-جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١/ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض-العليا-تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤/ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

إلى .....

إليكم أنتم .....

علماً بأنها هدية مدفوعة الثمن

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله...

عزيزي القارئ... عزيزتي القارئة...

كان من الممكن أن أبدأ هذه المجموعة القصصية بديباجة معتادة، على طريقة «أقدم لكم هذه المجموعة لكاتب هذه السطور، وأتمنى أن تحوز على إعجابكم... إلخ». أو على شاكلة: «تعتبر هذه المجموعة قصصاً قصيرة لكاتبها...إلخ». أو بأي أسلوب آخر على طريقة نشرات الأخبار، أو الكتب العلمية وغيرها...

ولكن... ولسبب أجهله لم أعرف «أن أصف كلمتين على بعض»، وربما يعود السبب إلى أن فكرة المقدمة لم تأت إلا قبل دخول الكتاب للطباعة النهائية، أو ربما أن السبب الحقيقي لذلك ... هو قلة التجربة...

عموماً ... وباختصار ... إن أعجبتكم هذه المجموعة فالحمد لله أولاً وأخيراً، وإن لم تحظ برضاكم ... فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ... فأنتم من جنى على أنفسكم بقرائتها!!! ولكن الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوله ... إن الذي يشفع لي في هذه المجموعة ... أنها التجربة الأولى...

خالد الزيب

obeikandl.com

الفهرس

القصة	الصفحة
الحب وعذابه	١١
جنط شارع التحلية	٣١
برقية مستعجلة	٤٩
إليك أيتها الساحرة	٦٧
السكوت علامة الرضا	١١١

obeikandl.com

obeikandl.com

الحب ... وعذابه

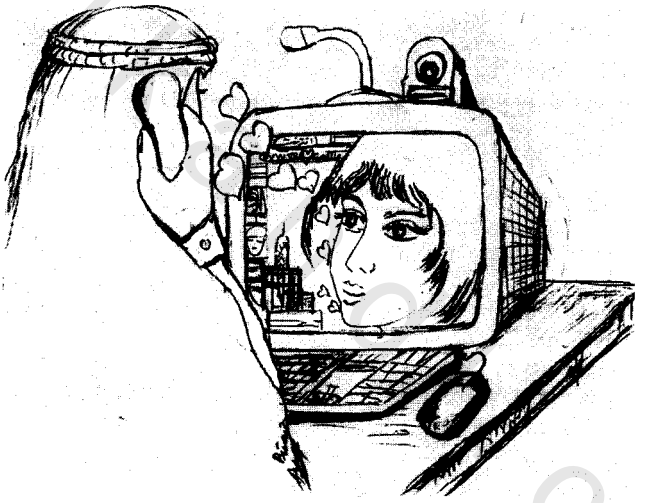

obeikan.com

obeikandl.com

يقولون..... الحب عذاب، ولكنه ليس كذلك فقط..... بل إنه كالموت الذي لا تحس به وبمعنى سكراته إلا بعد أن تجربه، وكذلك الحب لا تحس بعذابه ومرارته إلا بعد أن تذوقه..

فقد تعرفت عليها عن طريق (الشات)، وبعد رابع لقاء على (الشات) أضفتها عندي في (الماسنجر) وبعد ثالث يوم على "الماسنجر"..... "أضفتها" إلى جوالي....

أسمها (روعة) وتملك صوتاً له من اسمها نصيب، وكانت أول مكالمة في الساعة الثانية والنصف من بعد منتصف ليل الأحد، تلك الليلة التي لا أنساها أبداً ما حييت، فروعة بالنسبة لي لم تعد شخصاً عادياً في حياتي، ولا أنكر أنها قد تكون هي كل حياتي..... ألا يكفي أني قضيت معها في تلك الليلة "الأولى" ساعة بالتمام لم يقطعها سوى أذان الفجر، لا لكي أصلي، ولكن لأن أباها طرق عليها الباب لتصلي كما تقول، و «بعد ربع ساعة اتصل علي» قالتها قبل أن تقفل الخط.....

وبعد أطول ربع ساعة مرت علي في تاريخي اتصلت عليها، ورد

علي ذاك الصوت الممل «عفواً إن الهاتف المطلوب لا يمكن الاتصال به الآن، فضلاً أعد المكالمة فيما بعد»..... لا يهم ربما يكون ذلك سوءاً في الشبكة..... ولم أقتنع أنها نامت إلا عند الساعة الخامسة صباحاً.....

وفي الساعة الثانية ظهراً من اليوم التالي، استيقظت من نومي وأول شيء عملته ألقيت نظرة على جوالي لعله يكون هناك رسائل أو مكالمات لم يرد عليها.....

ويا لفرط سعادتي عندما وجدت أربع مكالمات لم يرد عليها، ولكن..... ويا للأسف كانت ثلاث منها من وليد صديقي وواحدة من الوالد.....

واتصلت على وليد الذي استغرب غيابي عن الجامعة اليوم، وخاصة أنه كان آخر يوماً لتسليم البحث عند مادة د/مصطفى، فأخبرته بأن لا وقت لدي لمناقشة مثل هذا الموضوع «البحث أسلمه متأخراً عادي» قلتها وأنا لا أزال مستلقياً على سريري لوليد.....

وقمت وغسلت وجهي، ونزلت تحت وإذ بأبي في الصالة يسألني: لماذا لم أذهب إلى الجامعة اليوم؟ وأجبته بأن لا جامعة اليوم عندي....

وبعد الغداء، وفي الساعة الرابعة عصراً بالتحديد فتحت

"الماسنجر" لعلي أجدها، ولكن ومع الأسف وإلى الساعة السادسة لا يوجد أحد، وبدأت بعد ذلك في حيرة من أمري، هل اتصل أم لا؟ فالساعة الآن السابعة مساءً، ولكن حتى لو اتصلت ستقول لي كلمني بالليل، إذن سأنتظر إلى الليل أفضل، ولكن..... ما المانع من أخذ موعد الآن، أو على الأقل (أحسسها) أني موجود، وأن هناك شخصاً اسمه فيصل دائما ينتظر على (خط النار)..... مع ملاحظة أن اسمي في الحقيقة ليس فيصل بل هو..... (سعيد) ولكن اخترت فيصل من باب (الكشخة).....

وفعلاً، قررت أن أضرب على الرقم، وبعد ثلاث رنات كأنها ثلاث سياط على قلبي من فرط انتظاري، رد علي صوتها هامساً: أهلين.....

- هلا عمري..... (وقد عدلت وحسنت من نبرة صوتي كأهل (الغزل)، واستطردت قائلا): كيف الحال؟
- الحمد لله....
- لعل المانع خير البارح؟
- آسفة فيصل..... لكن البارح انتهى الشاحن عندي.
- عادي..... كيف الوضع عندك الآن؟
- صعب والله..... يا ليت تتصل بي الساعة الواحدة في الليل.....

- أخاف أن أتصل، يكون جوالك غير مشحون.... (قلتها مازحاً)....
- "فرنت" ضحكتها على أذني وهي تقول: لا تخف.... شحنته على الآخر.....

وأقفلت السماعة بعد أن أعطتني الوعد المؤكد بانتظاري في الساعة الواحدة....

وبعد ذلك بدأت أهيم على وجهي في شوارع الرياض لا أعلم أين أذهب، فالوقت المتبقي حتى الساعة الواحدة طويل جداً على "عاشق" مثلي، وبدأت أدور في شوارع المدينة إلى أن دق علي الجوال، واضطربت، وضعت يدي على جيبي لأخرج الجوال، فالساعة الآن التاسعة ربما تكون قد أنهت أعمالها وتفرغت لي الآن أو أنها تريد أن تعجل في الموعد، أو (الله يستر) تريد أن تؤجله، وحاولت إخراج جوالي، وإذ بحزام الأمان قد ضيق على يدي الخناق لإخراج جوالي....

«إنا لله وإنا إليه راجعون» قلتها حانقاً على هذا الحزام، وهذه الزحمة التي وضعت نفسي فيها، وصوت الجوال لا زال يرن، وأنا لا زلت (أصارع) جيبي والحزام لأفك أسر جوالي من هذين السجانين، وأخيراً طرأت على بالي فكرة..... قد تكون متأخرة بعض الشيء ولكن لا يهم، فليس المهم أن تتأخر في إيجاد الحل

أحـــيـــاناً ولكن الأهم هو الوصـــول إلى الحل المناسب وإن طال الزمن.....

المهم.... قررت وبكل بساطة أن (أفك) حزام الأمان، وبهدوء أخرجت الجوال، وهذا ما حدث.....

ولكن.... ويا للأسف، فبعد هذا الصراع المرير بيني وبين حزام الأمان من أجل فك قيد جوالي لأرد عليها كما كنت أتوقع، وإذ بالمتصل..... وليد!!!!!!!!!!!!

- نعم!!.... (قلتها بنفس مسدودة بعد ما رأيت اسمه (يلعلع) على شاشة جوالي)....

- ألو....

- نعم (بنفس الأسلوب السابق)

- لا حول ولا قوة إلا بالله!!!!.... من أولها نفسك مسدودة.....

- نعم!!!!..... موضوعك بالمختصر المفيد .....

- لعل المانع خير يا سعيد.... وكأني فيك سعيد ثاني....

- لا ثاني ولا ثالث..... (ثم اســـتطردت بأسلوبي الســـابق نفسه)..... المختصر المفيد لو سمحت.....

فغضب وليد من أسلوبي في الحديث معه، فما كان منه إلا أن

رفع صوته قائلاً: أقول..... البحث باكر آخر يوم لتسليمه.... والشباب مجتمعين في الملحق... سلام... (وأقفل الخط وكأني به يريد أن يقول..... «الشرهة ما هيب عليك، الشرهة على اللي يتصل ثانيه»...)

وأثناء ما كنت أقود سيارتي على غير هدى بانتظار الموعد، قررت وفي الساعة العاشرة مساءً أن أتجه للشباب، و(أضيع) الوقت الباقي على أمل أن تأتي الساعة الواحدة سريعاً.... وجلست مع زملائي (وجسدي في مكان وقلبي في مكان آخر)..... كنت أحس أني أعيش قمة (الرومانسية)، إلا أن ما كدر علي (رومانسيتي) هو تعليقات بعض زملائي علي بأني (مصدق نفسي) وعلى بالي (راعي حب) وبعضهم الآخر قدر موقفي (احتراماً لي) وليس لوجهة نظري..... ولكن كل ذلك لم يكن يهمني أبداً... فالذي يهمني فقط هو موعدي مع (روعة).....

وعند الساعة الوحدة إلا ثلاث دقائق، قمت سريعاً من الملحق متوجهاً إلى البيت حتى (آخذ راحتي) مع روعة وسط تعليقات وقفشات من الزملاء على (حسن نيتي) وتعلقي الشديد بـ (روعة) من مكالمتين، حتى إن أحدهم علق ساخراً: مسكين.... المشكلة إن أغلبهن موظفات في شركة الاتصالات حتى "يلهفون" منك وأمثالك نسبة ١٥٪ لكل ساعة....

ومع ذلك لم أعرهم اهتماماً، فكل تركيزي وتفكيري كان في..... (روعة).

وفي الساعة الواحدة تماماً (دقيت) على جوالها، وإذ بصوتها هامساً كالنسيم: هلا....

- أهلين عمري (قلتها بصوت خافت، وكأني لا أريد أحداً أن يسمعني علماً بأني وحيداً في السيارة.... ولكنه (الحب)، وحديث (العشاق).....)
- ما شاء الله (جرينتش) (قالتها وكأني ألمح ابتسامة من خلال صوتها الساحر)....
- حياتي.... إذا ما كنت معك جرينتش، فمن يستحق أن أكون معه جرينتش؟
- الله.... الله.... (وكأنها تخفي ضحكة مكتومة وسط تهليلها)....
- حبيبتي..... صدقيني لولا ظروفك، وحرجي عليك.... ما كنت أقفل السماعة أبداً.... (واستمررنا على هذه الحال حتى آذان الفجر..... بطبيعة الحال... لا لكي أصلي، ولكن لأن أباها طرق عليها الباب لتصلي الفجر، وقبل أن تقفل السماعة حاولت أن أقنعها بأن أتصل عليها بعد ربع ساعة، إلا أنها رفضت بحجة تأخر الوقت.....)

ونمت.... ولم أستيقظ إلا على الساعة الواحدة والنصف ظهراً، على صوت أخي الأصغر بإزعاجه و (عدته وعتاده) من الألعاب والألوان..... (وش جابه بغرفتي..... مدري).

ورفعت الجوال لأرى إن كان هناك مكالمات لم يرد عليها، فإذ بي أرى ٦ مكالمات لم يرد عليها ..... (ممكن تكون هي؟) تسألت بيني وبين نفسي بانشراح في صدري..... فما أجمل أن تقوم من نومك وأول شيء تراه هو (مكالمات لم يرد عليها) من (أعز الناس) لديك..... وضغطت على أزرار الجوال لأرى الـ ٦ مكالمات، وطار بي خيالي فوق السحاب، (أتراها وقعت في شباكي)، و هل أصبحت (محبوبها الأول)..... (ما شاء الله علي) من مكالمتين يا سعيد (جبت البنت على وجهها)، بصراحة أعتقد ..... (لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) قلتها بإحباط شديد ..... بعد أن رأيت الـ ٦ مكالمات التي لم يرد عليها، والتي لم تكن سوى من..... وليد !!!!! (إنا لله وإنا إليه راجعون) رددتها بيني وبين نفسي متنهداً، وبسرعة ضغطت على الرقم لأرى ماذا يريد هذا الوليد.....

- هلا..... (قالها وليد راداً على اتصالي)..
- السلام عليكم..
- وعليكم السلام...
- عندي لك ست مكالمات..... لعل الموضوع خير....

- ابد... خير إنشاء الله، بالنسبة للبحث.....
- فقاطعته صارخاً: أقول لا بارك الله فيك أنت والبحث.... يا أخي أزعجتني.... ذبحتني فقعت مرارتي.... البحث بمشيئة الله مسلم، مسلم (واقفلت الخط)....

مر أسبوع على علاقتي بـ (روعة) وهي علاقة قمة في الـ "روعة"، ونحن على هذا الحال، مكالمة تبدأ من الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل وأحياناً قبل ذلك، وحتى صلاة الفجر دائماً، باستثناء أيام (نهاية الأسبوع) فالاتصال يبدأ من قبل صلاة الفجر وحتى الساعة التاسعة أو العاشرة صباحاً.....

وبعد فترة، (أخيراً) اقتنعت روعة وبعد إلحاح شديد مني بأن أراها وجهاً لوجه، وتم الاتفاق على أن نلتقي ولو من بعيد لبعيد في أحد الأسواق المشهورة في شمال الرياض.....

وفي اليوم (الموعود) والذي مر كالدهر، ارتديت ثوبي، وعدلت هندامي، وتعطرت بأحسن عطوراتي، واتجهت سريعاً إلى مكان الموعد..... (وقبل الوعد جيت بدقائق..... وبعد الوعد جت بدقائق)..... وبعد فترة من الزمن (دق) جوالي وإذ باسمها يشع على الشاشة متقطعاً ويقطع قلبي معه، وفي لحظة سريعة..... (سكرت) جوالها، بمعنى (اتصل بي) كما كان اتفاقي معها، وفعلاً لم أكذب خبراً، وسريعاً اتصلت وبعد ثلاث رنات كأنها (كما ذكرت

سابقاً)..... - عذراً لا وقت لدي للشرح كل دقيقة، فأنا متلهف لسماع صوتها- ردت علي هامسة: أهلين.....

- هلا عمري..... أنا في الموقع "قلتها محاولاً سحب ابتسامة من صوتها الرنان"
- وردت علي باسمة: وأنا في الموقع.....

وعدلت (غترتي)، وبدأت أمشي متجهاً ناحية أحد المحلات حتى تميزني وسألت: واضح عندك أنا؟

- وأجابت وهي غير متأكده: الظاهر..... أنت الطويل، وعليك غترة بيضاء، وجزمة بنية
- هو بذاته..... (ثم استدركت سريعاً قبل أن أعرف رأيها فيَّ، فقد كنت متلهفاً لأن أراها أولاً لأتأكد إن كان شكلها يطابق صوتها الرنان أم لا): طيب وأنت
- أنا حولك (قالتها متغنجة وكأني بها تريد أن تزيد تعذيبي)....
- أدري أنك حولي..... لكن أيهم أنت (وكنت أقصد التجمع النسائي في هذا السوق، خاصة وأن الكثير منهن حاملة جوالها بيدها)....

وبعد فترة تلاعبت بها فيَّ، وبمعنى آخر "سحبتني على وجهي" أخيراً..... عدلت من عباءتها، وحركت قليلاً من نقابها، وهزت يدها اليمنى والتي تمسك بها الجوال بحركة توحي لمن لا يدري عن

الموضوع بأنها مجرد فتاة تعبت يدها من طول مسكها بالجوال وأرادت أن تجدد (دوران الدورة الدموية)، أما لـ (عاشق) مثلي فقد عرفتها وميزتها وبدأت أقتنع أن الواقع أحياناً .... أحلى من الخيال..... مشيتها على أرضية السوق، وخصرها المياس وهي تأتيني، وميلان جسدها بتغنج، وخطواتها الواثقة ذكرتني بقول إبراهيم ناجي "واثق الخطوة يمشي ملكاً" ..... نعم..... إنه الواقع الأغرب من الخيال..... أما عيناها فسهام تقصف في الـ "Point" .....

وأشارت علي بأن أتبعها، ودون تردد فعلت، حتى إذا اختفينا عن "عيون البشر" قالت لي بصوتها الساحر، وابتسامة بانت من خلال عينيها: فيصل؟!

- هلا .... يا بعد فيصل....
- اتصل بي الساعة واحدة اليوم.... (ثم استدارت وألقت بظهرها إلي ومشت "كأن لم يكن بيني وبينها أشياء")....

وحاولت أن أناديها، ولكن تذكرت أني في مكان عام، أخذت جوالي واتصلت بها سريعاً كي أفهم أسباب هذا اللقاء الخاطف، فقد كنت متوقعاً زمناً أكثر.... إلا أنها لم ترد على مكالماتي واستسلمت للأمر الواقع "واحدة، واحدة".... رددتها بيني وبين نفسي بعد أن أيقنت أنها مصرة على رأيها....

وبعد عشر دقائق تماماً، رن هاتفي الجوال ورفعته سريعاً، وإذ به وكالعادة..... وليد!!!!

الذي ذكرني بالموعد المعتاد في الملحق والتحدي بيني وبينه في "البلوت".....

"بلوت، بلوت، بلاي ستيشن، بلوت، بلاي ستيشن، بلوت، بلوت" رددتها بيني وبين نفسي كثيراً وقد أصابني الملل من هذا البرنامج، خاصة بعد لقائي بـ "روعة" التي غيرت حياتي تماماً..... ولكن في النهاية ذهبت فلا شيء لدي أعمله حتى الساعة الواحدة إلا الالتقاء بأصدقائي.....

وفي الساعة الواحدة تماماً، وبعد أن وصلت إلى غرفتي "دقيت" على جوالها، وإذ بها ترد علي برقتها المتجددة: هلا.....

- أهلين حياتي...
- ما شاء الله.... كالعادة جرينتش....
- أكيد..... (واسترسلنا في الحديث عن كل شيء، فأحاديث الـ "عشاق" لا يحكمها شيء، وكالعادة لم يقطع ذلك إلا آذان الفجر..... لا لكي أصلي ولكن.... (أعتقد أن السبب معروف فلا حاجة لتكراره)...

وفي نهاية أول أسبوع من بعد أول لقاء دعوتها إلى أحد

المطاعم الفاخرة في (العليا)، لتناول طعام العشاء، وقضاء سهرة ممتعة، قد يلي هذه السهرة (أشياء أخرى) لا يعلمها إلا الله...

واستمرت علاقتي بروعة تقريباً لمدة شهر، تبادلنا خلالها الهدايا وكانت أحلاها كما قالت هدية (عيد الحب) على الرغم من عدم اقتناعي به سابقاً ولاحقاً، إلا أن (روعة) غيرت قناعاتي تجاهه وكانت عبارة عن ساعة يد من إحدى (الماركات) العالمية، وطبعاً لا أنسى رسائل الجوال الغرامية، والتي كنت أرسل منها ما يقارب العشرين إلى ثلاثين وربما خمسين رسالة أحياناً، وكانت لا ترد علي إلا بعشر على الأكثر..... وكان ذلك يكفيني منها.....

وفي أحد الأيام كنت ساهراً ليلي أنتظر موعدي المعتاد مع (روعه) وإذ باتصال على هاتفي الجوال والذي كان على طرف السرير بعيداً عني، وأنا عند جهاز (الكمبيوتر) أهيم متنقلاً بين الساحات، وقفزت على إثر ذلك إلى الجوال، فهي قد وعدتني أن تتصل بي اليوم و (تسكر) حتى أرد عليها، وفي هذه الليلة بالذات لم تحدد موعداً محدداً، فكان أن ذكرت لي أنها ستذهب مع أهلها إلى (عرس) وفي حال عودتها ستتصل بي مباشرة، وسريعاً ضغطت على (زر) رد المكالمات قائلاً - وقد حاولت أن أضفي نوعاً من (الرومانسية) على صوتي -: هلا حياتي....

- فرد علي صوت غريب لم أكن أتوقعه أبداً: هلا.....

- وتسآلت مستغرباً: من؟
- فقال الصوت ساخراً: عباس بن فرناس....
- ثم استدركت وانتبهت وعرفت الصوت، فهذا الصوت "الأجش" و "المقـــرف" و "الممل" لم يكن ســـوى صـــوت..... وليد!!!!!! فقلت (بقرف): وليد؟!!!.... نعم
- أبد.... لكن الدكتور يقول أن البحث.....

فأقفلت السماعة سريعاً بوجهه، دون أن أتركه يكمل.....

فهو في واد..... وأنا في واد (آخر).....

وحاول وليد الاتصال مرة ثانية وثالثة ورابعة، ولكن لم أعره أي اهتمام، ويبدو أنه فقد الأمل ولم يعاود الاتصال ثانية.....

وفي الساعة الواحدة والنصف، لم أعد أطيق احتمالاً وصبراً، فاتصلت بـ "روعة" ولكنها لم ترد علي..... فأرسلت إليها رسالة جوال «يا مطول الهجران لا تزيد الصدود»!!!!! لا أعلم مدى جودة مـا أرسلت إليـهـا شـعـريـاً، ولكن لا يهم فـهـذا مـا جـادت به قريحتي.....

فردت على رسالتي بـ "الصد والهجران ما هوب طبعي"...

(يااااه) رددتها بيني وبين نفسي سعيداً متباهياً برسالتها، فهذه ربما أول مـرة ترد على رسـالتي بهذا الشكل السريع..... فـأرسلت

ثانية «يا من هواه أعزه وأذلني، كيف السبيل إلى هواك فدلني»، فردت «الفصحى ما نقدر عليها..... خف علينا شوي».

فابتسمت لهذه الرسالة التي تدل على خفة روح (روعتي).... فأعدت إليها «أنا في انتظارك..... مليت»، فردت «وأنا على الموعد.....».

وبعد هذه الرسالة مباشرة اتصلت عليها، فقد فهمت من هذه الكلمة أن أتصل عليها الآن، ولكنها..... لم ترد....

فأرسلت ثانية «ولكن بعد دقائق»

وبدأت أرسل إليها رسائل أخرى، رسالة تلو الرسالة، وكانت ترد علي بكل ثلاث أو أربع رسائل مني برسالة أو اثنتين منها، على هذا الحال طوال الليل إلى أن حان وقت صلاة الفجر، وبعد ذلك..... أقفلت جوالها...

وفي صباح اليوم التالي، ذهبت إلى الجامعة (مواصلاً) حيث قررت في الفترة الأخيرة أن أفضل طريقة لعدم (تفويت) الجامعة هي (مواصلة) الاستيقاظ...

وفي الساعة العاشرة والنصف، وأنا في إحدى محاضراتي أتتني رسالة جوال من (الغالية) روعة، وإذ بها تصبح علي بالخير، ورددت عليها بـ (صباح النور والبلور).....

وبعد أن انتهت المحاضرة أول شيء عملته هو الاتصال بـ (روعتي) التي لم ترد على المكالمة.... فأرسلت إليها رسالة (عسى المانع خير)..... وردت بالعذر أن والدها كان بجانبها....

وفي مطعم الكلية حيث (طنشت) المحاضرة التالية، قضيت أغلب الوقت في إرسال الرسائل الغرامية، وعلى نفس الحال ليلة البارحة، كل ثلاث إلى أربع أو خمس رسائل يأتيني رد أو ردين.... وربما لا، وأنا وإياها على هذا الحال إلى أن أتت أحدى الرسائل رداً على رسالة ذكرت لها فيها «يبان الشوق في عين المعذب».... وعندما سمعت رنة صوت رسالة جوالي، رفعت الجوال وأنا كلي (هيام) و (شوق) و (محبة) و (وغرام) وجميع الفاظ (الرومانسية) التي من الممكن أن تخطر على البال، ضغطت بشكل سريع على زر (القائمة)، وبعد ذلك ظهرت كلمة الشاشة المكتوب عليها (رسائل)، وضغطت (اختيار)، ثم نزلت إلى الأسفل عند (صندوق الوارد) تحديداً، ثم (اختيار)، ومباشرة ودون أن أرى اسم المرسل ضغطت (اختيار) وكلي (لهفة) في معرفة بماذا سترد علي (روعتي) وكلي (خيال) لنوع الرسالة التي سأقرؤها رداً على رسالتي (الشاعرية)، وإذ بالرسالة تقول (رسالة (١) عزيزي المشترك تم إصدار فاتورتك بمبلغ ٧٨٩٠ ريال، الحساب رقم ١٢١٣٤٥٦) وصعقت بما قرأت، وفجأة ودون أن أشعر قمت من الكرسي وصرخت قائلا: سبعة آلاف ماذا؟!

وهممت أن أضرب بجوالي على أرض (البوفيه)، ولكني تذكرت أني في مكان عام.....

وبعد ذلك.... هدأت قليلاً، وجلست على الكرسي، ورفعت جوالي ثانية وبدأت بـ "الحساب" متمتماً بيني وبين نفسي "٧٨٩٠ ريال مصاريف جوال، و ٢٥٠٠ ريال قيمة الساعة، و ٤٥٠٠ ريال عزائم و «كوفي شوب» و «كلام فاضي»، وعطرين بقيمة ٩٨٠ ريال غير المصروفات «النثرية» من بنزين سيارة وتغيير زيت من كثرة (المشاوير)، يا سلاااااااام يعني تقريباً أدخل لي في العشرين ألف ريال، فقط خلال شهر أو أكثر بقليل...

وبعد لحظة تفكير بعد هذه "الصدمة" غير المتوقعة، وتساؤلات بيني وبين نفسي «من أين أدبر هذا المبلغ»، وضعت جوالي بيدي اليسرى، ومسحت وجهي بكف يدي اليمنى وتمتمت قائلاً: «الآن فقط عرفت لماذا يقولون..... إن الحب عذاب».

سعيد حامد

obeikandl.com

جنط شارع التجلية
25000 ريال
للجنط

obeikandl.com

وصل محمد وصديقاه أحمد وبدر إلى شارع التحلية كعادتهما كل خميس... حيث تكثر التجمعات الشبابية نهاية كل أسبوع.... شارع عريض تموج به السيارات الفارهة، في موج كالجبال من سكان تلك المنطقة، بجانب بعض السيارات الأخرى الأقل رفاهية بل والتي من الصعب تسمية بعضها سيارة من سكان مناطق أخرى في مدينة الرياض.....

جلسوا في مقهاهم المعتادين الجلوس فيه في تلك المنطقة، وبدأ محمد ذو الاثنين والعشرين ربيعاً في تأمل ما يجري حوله خاصة وأنها كانت المرة الأولى له التي يزور فيها شارع التحلية وذلك لبعد منطقة سكنه - جنوب الرياض - عن شارع التحلية.... فقد كان محمد كأغلب شباب تلك المناطق.... «كرة قدم في العصر وتجمع في الاستراحة بعد العشاء إلى الساعات الأولى من الصباح».....

محمد ومنذ أن تخرج في الثانوية العامة منذ سنتين وهو من «جرف لدحديره» لا جامعة تقبل به بسبب معدله ولا وظيفة

حكومية أو قطاع خاص تناسب مؤهله التعليمي، ولا يملك أي نوع من الفيتامينات لا «واو» ولا «كاف» ولا حتى نقطة في آخر السطر.

وهو لا يرغب أبداً في التحرك من حيه، فبرنامجه يقنعه تماماً خاصة وأنه «مدمن» كرة قدم، بالإضافة إلى موهبته وشهرته في حيه بهذه الخاصية التي تمنع أصدقاءه من التخلي عنه، حتى إن بعضهم لقبه "بالموسيقار الصغير" لإعجابه ولتشابه أدائه مع فهد الهريفي لاعب نادي النصر.....

ولا ينقصه من الدنيا إلا أن يجد وظيفة حكومية «يرتاح فيها من إحساسه بالتكليف على الوالد» كما كان دائما يذكر لأصدقائه، ولرغبته أيضاً بأن «يعيش ويشوف» ويسافر «ويلف» الدنيا مثل أصدقائه الموظفين..... ولهذا هو لم يفكر أبداً في التحرك من حيه إلا في حالات معدودة وكلها تتعلق بكرة القدم... إما للإستاد لمتابعة مباريات نادي النصر فريقه المفضل وأيضاً مباريات المنتخب، أو أن يذهب مع فريق الحي للعب مباراة مع فرق أحياء أخرى في منطقة الرياض، أو أن يستدعى من قبل إحدى الشركات للعب في دوريات الشركات والتي تقام عادة في شهر رمضان المبارك بمقابل مادي.... عدا ذلك فهو لم يتعد حيه، فبرنامجه كان مقنعاً دائماً له....

كرة قدم عصراً، وفي المساء التجمع في الاستراحة مع زملائه

التي لا تخلو أيضاً من كرة القدم أحياناً حتى وإن لم يلعبها بقدميه فهو يلعبها بيديه من خلال الـ «بلاي ستيشن» .....

لذلك فقد كان صاحبنا يتأمل ما يراه مندهشاً ومستغرباً وكأنه في «مدينة النور والجمال» بالنسبة له..... شيء مختلف تماماً عما كان يعيشه في حيه، أما صديقاه فلم تكن هذه أول مرة بالنسبة لهما، فقد اعتادا أن يزورا شمال الرياض كل نهاية أسبوع؛ نظراً لتجمع المقاهي (COFFE SHOPE) وصالات البلياردو والأسواق، وأيضاً ما بداخل الأسواق!!!!!، ووسائل الترفيه المتوفرة في شمال الرياض التي قلما أن توجد في منطقتهم، ولم تظهر عليهما علامات اندهاش مما يريان كأول مرة ذهبوا إليها، إلا أن ما لفت أنظارهما هو نظرات محمد الزائغة تجاه مظاهر الترف التي يراها متحسراً على حاله «سيارات ودراجات نارية بمئات الآلاف من الريالات بينما أنا لا أملك سوى هذه الكحيانه» قالها محمد متمتماً بينه وبين نفسه مشيراً إلى سيارته.....

وبعد فترة من الجلوس وتبادل الأحاديث والتعليق على بعض وعلى «الرايح والجاي» وباختصار «حش ونميمه» - والعياذ بالله - قرروا أن يغيروا مكانهم وأن يأخذوا «لفة» في السيارة.....

وبعد أن ركبوا السيارة بدأ محمد «بكحيانته» مترنحاً بين «الشبحات، والفياغرات، واللكازس، والبئمات» وغيرها من

السيارات الفارهة وكأنه سمكة صغيرة أضاعت الطريق من موطنها الأصلي في بحيرة «الكسر» بالزلفي لتجد نفسها فجأة وسط حيتان المحيط الهادي.....

وأثناء ما كانوا يمشون «في أمان الله» كانت إشارة الوقود تعلن عن لزوم تعبئة السيارة، فتوقف محمد عند محطة مرخمة الأرضيات وبإضاءة «زينون»....

لأول وهلة خشي محمد - من هول ما رأى في هذه المحطة- أن يكون سعر الوقود فيها يختلف عن المحطات الأخرى «فدق سيلف» وقرر أن ينطلق مسرعاً باتجاه محطة أخرى، إلا أن صديقيه أقنعاه ضاحكين منه ساخرين من غبائه في الوقت نفسه بأن السعر هو هو، ولا خلاف فيه، فكل ما في الأمر مجرد «بهرجه لا غير» كما ذكر أحمد الذي استطرد قائلاً: عب ولك الأمان.....

وبينما كان العامل يقوم بتعبئة السيارة، لفت نظر محمد محل coffee shope وبجواره محل لبيع «جنوط» السيارات، فنزل محمد - بكل حسن نية - بغية الفرجة وأن يسأل عن الأسعار، فلربما قرر فيما بعد أن يشتري أحد هذه الأشكال الجميلة فيما بعد ليزين بها سيارته، وبعدما دخل هو وزميلاه أعجبه أحد الأشكال، فسأل - وبكل تفاؤل الله يعظم أجره - عن سعر أحد «الجنوط»، وقد صدمته المفاجأة وذهل حين سمع السعر..... ٢٥٠٠٠ ريال سعودي لا غير....

فقال مندهشاً: لا غير..... ولك وجه تقول لا غير.... (واستدرك مغاضباً) سيارتي على بعض لا تصل لهذا المبلغ.....

فخرج دون حتى أن يسأل عن الأسعار الثانية، فقد صدمه هذا المبلغ المهول بالنسبة له، خاصة في هذه الحالة من البطالة التي يعيشها....

وركب سيارته بعد أن انتهى العامل من تعبئة الوقود وأخذ يفكر: ٢٥٠٠٠ ريال على ١٢ شهر يعني وظيفة راتبها ٢٠٠٠ ريال تقريباً..... (واستطرد ساخراً).... يا بلاش، يعني موظف حكومي راتبه ٥٠٠٠ ريال تقريباً لازم يقتطع من راتبه ٢٠٠٠ ريال تقريباً حتى يصل إلى ٢٥٠٠٠ ريال.... لا..... وغير هذا يعيش على ثلاثة آلاف ريال..... (ثم استطرد) ناس تتعب في تجميع مبلغ مثل هذا، وناس لا تجده أساساً، وناس تضيعه في «جنوط»... حتى يا ليتهم ضيعوها في كفرات.... «جنوط»... «جنوط».... (ثم ارتفع صوته فجأة) «جنوط».....

- أحمد (مستغرباً من هذه الصرخة المفاجئة التي خرجت من محمد): بسم الله عليك الرحمن الرحيم، خير إن شاء الله...
- أبد.... لكن جنط سعره ٢٥٠٠٠ ريال، وأخوك في الله لا يملك وظيفه...

- ومن منعك من الوظيفة؟
- أين أجدها؟
- في كل مكان..... لكن يبدو لي أنك كسول...

(وبدأ محمد وأحمد وبدر في حوار حول التوظيف والبطالة حسب معلوماتهم وفكرهم البسيط، حتى إن أحمد الذي يعتبر أكثرهم ثقافة نوعاً ما عندما أراد أن يصف ما يراه في شارع التحلية بـ «البرجوازية» قال: إن هذا يذكرني بما قاله أستاذ التاريخ في الثانوي عندما شرح لنا ما حدث في عصر النهضة الأوربية بأنه يسمى بـ " الأرجوبازية "....

وعاد محمد إلى البيت واستلقى على سريره وأخذ يفكر في وضعه وفيما رأى: جنط بـ ٢٥٠٠٠ ريال وأنا حتى وظيفة بـ ٢٠٠٠ لم أجد.... بيتنا على بعض إيجاره ٢٥٠٠٠ ريال (وابتسم ساخراً)..... يعني بيتنا بمن فيه وما فيه يسوى جنط من جنوط شارع التحلية... (ثم قلب بجسمه ناحية اليمين واضعاً يده اليمنى على خده الأيمن متمتماً)..... «أقول يا زين النوم بس» (ثم عدل من استلقائه ونظر إلى الأعلى واضعاً يديه خلف رأسه).... لكن من أين يأتي النوم وأنا على هذه الحال..... وغيري بإمكانه أن يشتري «جنط» بسعر إيجار بيتنا (ثم اعتدل في جلسته وأصبح ظهره إلى الأعلى ويداه على حجره بعد أن أتاه خاطر غريب).... ولكن هل فعلاً هناك من

يشتري «جنط» بـ ٢٥٠٠٠ ريال، وإن كان هناك مراهق أهبل في لحظة تجلي فكر بذلك..... هل يسمح له والده بذلك؟!..... (ثم حك خده الأيسر بيده اليسرى بعد أن تذكر صفعة من صفعات والده له عندما اشترى دراجة هوائية مستخدمة قبل ست سنوات بـ ٤٠٠ ريال بداعي أن المبلغ الذي دفعه فيها كبير، وأن هذا تبذير على حد قول والده).... الله يرضى عليك يا والدي.... من أجل ٤٠٠ ريال صفعتني ذاك «الطراق».... أجل ماذا ستفعل لو قلت لك أني سأشتري «جنط» بـ ٢٥٠٠٠ ريال؟!!...

(وفجأة أرتفع صوت والده القادم من الصالة ناحية غرفة محمد): محمد.....

- (وانتفض محمد خائفاً): سم....
- قم صل....
- (ثم رفع محمد يده اليسرى محاولاً رؤية الساعة إلى كم تشير الآن، ولكنه لم يتمكن من ذلك من شدة الظلام، ثم اتجه لفتح نور غرفته، وحين نظر إلى الساعة قال بأسى متمتماً بينه وبين نفسه): الله يهديك يا والدي.... باقي نصف ساعة على صلاة الفجر..... (فقرر محمد أن يتمدد قليلاً لحين موعد الآذان.....)

ولم يستيقظ محمد إلا على صياح أبيه عليه من الصالة: محمد.....

- (محمد بعد أن أزاح البطانية من جسده واعتدل من استلقائه جالساً على السرير وقدماه على الأرض دون أن يستيقظ تماماً، يرد بتثاقل): طيب.... طيب...
- (والد محمد بعصبية شديدة): قم قامت أعصابك..... لا صلاة فجر ولا صلاة جمعة مع المسلمين ولا وظيفة ..... قم وضيع وقتك بشي ينفعك بدلاً من جلسة العوانس هذه.....
- (وأثناء ذلك قام محمد من سريره متثاقلاً ناحية دورة المياه ليغسل وجهه (ويصحصح) بعض الشيء، وأخذ يتمتم بينه وبين نفسه): الله يرضى عليك يا الشايب..... بعد صلاة الجمعة أين أتجه؟!..... (ثم ارتفع صوته لتهدئة والده).... إن شاء الله..... إن شاء الله...

وبعد أن انتهى محمد من غسيل وجهه، لبس ثوبه واتجه إلى والديه في الصالة وقبل رأسيهما ويديهما، وبعد ذلك لبس «غترته» واتجه مع أبيه إلى بيت جده حيث الاجتماع الأسبوعي بعد صلاة الجمعة مع أعمامه وأبنائهم.....

وفي أثناء الطريق كان هناك حوار من طرف واحد بين والده ووالده، موضوعه هو محمد ووظيفته ومستقبله، بدأ الأب حديثه مع ابنه بالنصح أولاً، وارتفع إلى الصراخ، ثم وصل إلى حد التوبيخ، ثم عاد للصراخ، ثم يرتفع مرة أخرى إلى التوبيخ، ثم ينزل إلى درجة

النصح فقط كمقياس الزلازل « ريختر » مرة في العالي ومرة في النازل، وكله يدور حول انظر إلى فلان بن علان كيف أنه شق طريقه، وزيد بن عبيد كيف استطاع أن يكوّن مستقبله و «فلتان» الأخر الذي تزوج، وهكذا دواليك..... سلسلة من المقارنات بين مجموعة من « لفلالين » ، ومحمد لا يرد إلا بكلمات معدودة: طيب.... إن شاء الله..... أبشر.... صادق.... إلخ، أما بينه وبين نفسه فكان يعد الدقائق والثواني للوصول، ويلعن في الإشارات الحمراء التي تعطل وصولهم.... فهو قد مل من هذا الموال شبه اليومي.....

وهكذا كانت حياة محمد يومياً تقريباً.... يقوم الصبح على تأنيب من والده، ويعود بعد الظهر بعد أن " يفر " الرياض كلها تقريباً للبحث عن وظيفة بخفي حنين..... حتى كرة القدم والتي تعتبر هي متنفسه الوحيد قد أصابته في مقتل بسبب ابتعاد ناديه المفضل عن البطولات منذ زمن، فقد كان صاحبنا يردد ساخراً: في الصباح الوالد معصب..... وفي الظهر لا يوجد وظائف.... وفي الليل النصر يضيع بطولات..... رحماك ربي.... (وما أكمل الناقص لديه، وتمم هرم المآسي هو..... «جنط» شارع التحلية).....

وفي مساء يوم الثلاثاء بعد خميس التحلية، جلس اثنان من أصدقاء محمد في الاستراحة على «البلاي ستيشن»، وأربعة متجمعين على «بلوت» وأربعة آخرون منهم محمد وبينهم نرجيلتان

للمعسل يتناوبون عليهما يتسامرون في بعض الأمور ومن أهمها محمد الذي لا زال في باله «جنط» شارع التحلية حين قال: يا جماعة والله هذا الذي صار.....

- ثامر (غير مصدق): غير معقول....
- يعني تعتقد أني أكذب عليك.... هذا أحمد وبدر حواليك تأكد منهما....
- أصدقك.... لكن معقول هناك أحد يشتري «جنط» بـ ٢٥٠٠٠ ريال.... (ثم يتساءل بسخرية)..... جنط من الجنة؟
- أحمد (وهو مندمج في لعب البلوت): الرازق في السماء، والحاسد في الأرض....
- لم أحسد أحد.... لكن المنطق يقول إن هناك أولويات.....
- أحمد (يلتفت إلى محمد ساخراً بعد سماع كلمة «أولويات»): ياسلام يا أبو أولويات... (ثم يستدرك ساخراً)..... لكن العيب ليس عيبك..... ولكن على الذي أخرجك من هذا المستنقع (مشيراً إلى الاستراحة)....
- (وهنا يتدخل ثامر مؤيداً وجهة نظر محمد): المشكلة ليست في الأبناء.... البلاء الأعظم من الآباء الذين يدفعون مثل هذا المبلغ على جنوط بينما هناك ناس لا تجد ما تأكل، ومنهم من لم يجد وظيفة بـ ١٥٠٠ ريال...

- أحمد (وهو يسجل «النشرة»): وهم خلفوك ونسوك؟!....
- محمد (ساخراً): الظاهر انك غير موجود معنا بالخدمة مؤقتاً..... (ثم يستطرد).. أقولك «جنط» بـ ٢٥٠٠٠ ريال، وأنت تقول خلفوك ونسوك.....
- مع احترامي لك يا محمد أنت وثامر أنتما لا تقولان ذلك الكلام إلا لعدم توفر وظائف لكما.
- محمد (ساخراً): يا عيني..... اكتشفت لغز سقوط بغداد..... (ثم يستدرك)..... أكيد لو أني موظف لم أقل هذا الكلام..... ولهذا أقول أن هناك أولويات.....
- رجعنا لحكاية الأولويات..... (ثم ينتبه أن خصمه في البلوت «قطع» في اللعب، فصرخ قائلا): كاشو.....

فيتعالى الصراخ بين لاعبي البلوت بين «كاشت» لا «ما كاشت»، فقام أحمد غضبان لاعتقاده أن هناك مؤامرة «بلوتيه» استغلها الخصم أثناء نقاشه مع محمد وثامر، وخرج دون حتى أن يلقي التحية..... وقبل أن يركب سياراته تذكر وهو على بابها شيئاً هاماً فعاد إلى الاستراحة وقال لمحمد: أبو حميد.... لا تنسى غداً المباراة...

- متى؟ وأين؟
- أحمد (ساخراً بقرف، فهو ليس ناقص أسئلة غبية): بعد صلاة العشاء في إستاد الملك فهد.....

- فابتسم محمد مقدراً غضب أحمد، خاصة بعد المؤامرة "البلوتية": هدئ أعصابك....
- أحمد (بنفس الحالة السابقة): لم أعصب... ولكن سؤالك غبي، أقولك مباراة تقول أين ومتى..... يعني أين مثلاً... في استاد " سان دونيه "..... (ثم استدرك).... أكيد بعد صلاة العصر في ملعب الحارة مباشرة..... (وخرج أحمد).

وبعد ذلك بفترة افترق الجميع من الاستراحة، ويعود محمدنا إلى بيته، وبدأ نوعاً ما في نسيان حكاية «جنط» شارع التحلية، ويركز قليلاً في مباراة الغد والفريق المقابل الذي أخذ عنه معلومات وافيه من أحمد ومن أصدقائه في الاستراحة.....

وبعد أن دخل البيت بهدوء، استلقى على سريره ومدد قدميه وغط في سابع نومه..... ولم يستيقظ إلا في الساعة الثانية ظهراً، وخرج من بيته بخطوات هادئة متخفياً عن والده خشية أن يراه ويعطيه «موال» كل يوم.... «لا صلاة، لا دوام، من أين تريد أن يرزقك الله» كما كان والده يردد أحياناً.....

وعندما وصل محمد إلى ملعب الحارة في الوقت المحدد، علم أن هناك تغييراً قد حدث في وقت ومكان المباراة، فقد تقرر أن تكون المباراة بعد صلاة العشاء في ملعب ابن أحد وجهاء البلاد

والشهير بأمواله وغناه الفاحش، والذي وعدهم بـ «مبلغ وقدره» في حاله فوزهم على فريق ابن أحد كبار رجال الأعمال... فالموضوع كان موضوع تحد بين ابن الوجيه وابن الثري... لذلك كان وجود محمد مهم جداً بالنسبة لفريق ابن الوجيه الذي طلبه بالاسم....

إلا أن محمداً وعندما وصل مع فريقه إلى ملعب ابن الوجيه والذي يصغره بسنتين ورأى العز الذي يعيش فيه ورأى ملابسه، والنعيم الظاهر على وجهه، وسياراته الفارهة.... ولمح..... ويالهول ما لمح..... «هو.... إنه هو..... جنط شارع التحلية.... هو نفسه الجنط الذي رأيته... أبو ٢٥٠٠٠ ريال.... آه يا بن الـ.... «وبدأ محمد يتلفظ بألفاظ نابية بينه وبين نفسه قاصداً بها ابن الوجيه....».

وبدأت المباراة.... ومحمد غير مركز على غير عادته، فالسيارة التي رآها، والجنط الذي لمحه، أعادا إليه ذكريات ذلك اليوم، وحسابات ذاك الأسبوع..... «جنط بـ ٢٥٠٠٠ ريال وأنا حتى وظيفة بـ ٢٠٠٠ ريال أو ١٥٠٠ ريال لم أجد.... و«أبو الشباب» - قاصداً ابن الوجيه - يتكرم علينا بـ ٢٥٠٠ ريال لكل لاعب إذا فزنا، وهو يضيع فلوسه "بجنط" لا راح ولا جاء».....

ومرت تقريباً ٣٠ دقيقة من زمن الشوط الأول، ومحمد لم يكن في مستواه المعتاد، فتمريراته السحرية لم تعد سحرية، وكراته مقطوعه، وجريه قليل، حتى كشافي الملاعب والذين يكثر عددهم عادة

عندما يلعب محمد - ومنهم كشاف نادي الهلال والذي يحضر للمرة الرابعة وكشاف نادي الشباب والذي يحضر للمرة الثانية إلا أنهما يصطدمان برفض محمد الشخصي لرغبته في نادي النصر، وكشاف نادي النصر الذي يأتي للمرة السادسة ولكنه يصطدم برفض والد محمد لقضية احتراف الكرة - استغربوا هذا المستوى المتدني له.....

وبين الشوطين، خرج فريق محمد خاسراً بهدفين للا شيء، وأتى ابن الوجيه مؤنباً الجميع وخاصة محمداً والذي بنى عليه آمالاً كبيرة لتحقيق الفوز، ولكنه فوجئ بأن فريقه يخسر وبوجود محمد الذي أخذ أكبر قدر من التأنيب والمطالبة بتعديل الأوضاع في الشوط الثاني، إلا أن محمداً أذن من «طين وأذن من عجين» فهو كلما يرى هذا الشخص يتذكر سيارته وجنطه ذا الـ ٢٥٠٠٠ ريال يصاب بالإحباط؛ لذلك كان يتعمد ألا يقدم مستواه المعروف حقداً على ابن الوجيه.....

وبدأ الشوط الثاني، وبدأ خلاله محمد يفكر بعقلانية بينه وبين نفسه: ماذا سأستفيد من هذا العناد والحقد.... فالجنط قد اشتراه وانتهى موضوعه..... والهزيمة لن تعطيني شيئاً من سعر الجنط، لكن الفوز سيعطيني على الأقل ٢٥٠٠ ريال، لماذا لا أركز على المكافأة التي ستأتيني في حالة فوزنا... ويا «سعد من أفاد واستفاد»...

وبدأ محمد نوعاً ما في «شد حيله» ويعود إلى جو المباراة قليلاً.... ولكن الصراع النفسي بين محمد وبينه لا ينتهي..... فكلما التقت عينه بابن الوجيه ولو فجأة تذكر سياراته وجنطه..... يصاب بالإحباط....

وفي آخر الدقائق، والنتيجة ٢/٢ لم يكن لمحمد أي دور فيهما، أحس محمد بخطورة الموقف وبسوء وضعه وسمعته الشخصية، فهذه المباراة قد تقلل من أسهمه في بورصة لاعبي الحواري، خاصة وأن هناك مجموعة من أبناء الوجهاء وأبناء الأثرياء الذين يسعون لضم أفضل اللاعبين لفرقهم بالإضافة إلى كشافي الملاعب حيث لا زال لديه أمل في أن يقبل والده موضوع احترافه كرة القدم، وقرر أنه لا بد من فعل شيء.... وأتته الكرة، وبحركة واحدة "سحب" اثنين، وبحركة ثانية «أكل» ثالثهما.... وبدلاً من أن يمرر الكرة لزميله المتمركز سدد برعونة خارج المرمى... فصاح به زميله: ناول... يا أناني... يا أرعن... يا غبي.... يا جنط.....

وهم محمد أن يرد، ولكنه عندما سمع كلمة «جنط» توقف قليلا وتذكر «جنط شارع التحلية» وأن هذا الملعب في شارع التحلية... فتمتم بينه وبين نفسه ساخراً: لا يهم.... فكلمة جنط في شارع التحلية لا أعتقد أنها «سبة»... فالجنط سعره ٢٥٠٠٠ ريال بينما مكافأة إنسان مثلي ٢٥٠٠ ريال.. والفرق صفر واحد فقط على اليمين..... يا بلاش...

obeikandl.com

برقية ..مستعجلة

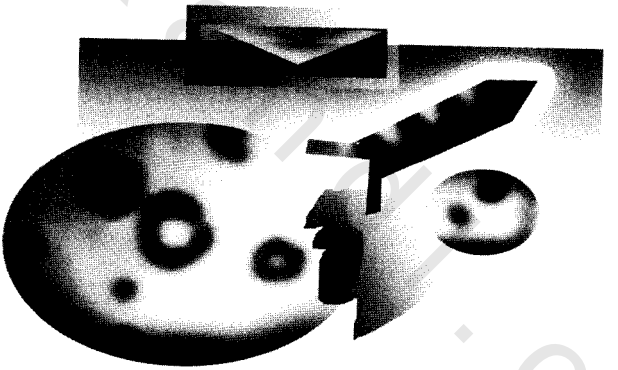

obeikan.com

obeikandl.com

الساعة الثانية صباحاً في مدينة الرياض، في يوم الإثنين..... سكون تام على طريق الملك فهد الذي يشق المدينة من شمالها إلى جنوبها لا يقطعه إلا هذا المنطلق بسياراته اليابانية الصغيرة بموديلها المتوسط ٩٣م، عشبية اللون بسرعة تتجاوز الـ١٦٠ كم/الساعة من منطقة السويدي في جنوب الرياض.... ومن خلفه سيارتا مرور تلاحقانه وتطلبان منه التوقف غير مبالٍ بهما، فالموضوع بالنسبة له خطير ولا يحتمل التأخير ولو ثانية، وعندما وصل إلى تقاطع طريق الملك فهد مع طريق مكة المكرمة (والمسمى بميدان القاهرة)، انعطف بشكل سريع وبنفس سرعته ناحية اليمين متجهاً شرق الرياض، واصطدمت إحدى دوريات المرور بالحائط الخرساني للمنعطف، أما السائق الآخر فأكمل طريقه بعد أن قام بتهدئة سرعته.....

أما الشاب فلازال منطلقاً بسرعته المهولة، ويتصبب عرقاً من هول ما رأى، وإذ بثلاث سيارات مرور أخرى تسد الطريق وتحاصر سيارة هذا الشاب الذي توقف أخيراً بعد مطاردة طويلة، على

جانب الطريق قبل كبري الخليج وعند المنفذ الذي يؤدي إلى طريق المطار القديم.....

وعبر مكبر الصوت، أمر الضابط الشاب بالبقاء في مكانه داخل سياراته خشية أن يكون مسلحاً، ونزل عسكريان بناء على أوامر الضابط ناحية صاحب السيارة بأسلحتهما وكلابشاتهما واقتربا أكثر من السيارة، وتقدم أحد العسكريين ومعه كلابشات وأمر صاحب السيارة بالنزول، بينما بقية العساكر موجهين بنادقهم ناحية صاحب السيارة ترقباً للموقف، وأما صاحبنا فلا زال داخل سيارته، رافضاً النزول مقفلاً جميع الأبواب والشبابيك على نفسه، وفي هذه الأثناء قرر العسكري ضرب باب السيارة بقوة لإجباره على النزول، مما اضطره أن يفتح الباب بشكل سريع خوفاً على سيارته وهو يصرخ: خلاص.... خلاص....

فتراجع العسكر بأسلحتهم سريعاً خوفاً أن يكون الرجل يهددهم بسلاحه، أما صاحب الكلابشات فقد وقع أرضاً من شدة اصطدام باب السيارة به.....

هنا وفي هذه اللحظات بدأ الجميع في وضعية ترقب.....

العساكر موجهون بنادقهم ناحية الشاب، وصاحب الكلبشات واقعاً أرضاً، والشاب رافعاً يديه إلى الأعلى مستسلماً قبل بدء المعركة، أما الضابط فهو في سياراته مستغرباً لما يحدث، مستنكراً

لهيئة هذا الشاب الذي بدا أنه في أواخر العشرينيات من العمر منكوش الشعر على عدة اتجاهات ذات اليمين وذات الشمال، وذقن لم تمسسها الموس منذ أيام، وشنبات ثلثها ساقط على شفتيه بلا ترتيب، عليه جلباب رمادي اللون مقلم بخطوط بيضاء، والأدهى والأعجب أنه لم يلبس تحت قدميه إلا شراباً على قدمه اليسرى متدلياً نصفها إلى الشارع، أما اليمنى فهي «ربنا كما خلقتنا».....

ما هذا؟!..... «بدأ الضابط يتساءل بينه وبين نفسه»..... أهذا شكل إنسان مطلوب؟!... أعتقد أننا أضعنا وقتنا في مطاردة إنسان تافه.....

وهنا نزل الضابط بعد أن اطمأن للموقف، وأن هذا الشاب غير مسلح، وأمر عساكره بتفتيش السيارة.....

وبينما أحد العساكر موجهاً بندقيته ناحية الشاب الذي استمر في رفع يديه إلى الأعلى وبعد فترة وجيزة لم يطق الشاب صبراً فصرخ قائلاً للضابط: سيدي..... أرجوك لا وقت لدي..

- ونظر إليه الضابط نظرة ازدراء ولم يرد، فالضابط يرى أنه أنا الذي ليس لدي وقت وليس أنت....
- وهنا كرر الشاب: حضرة الضابط بسرعة.... فأي تأخير ستتحمل أنت المسؤولية...

- ونظر الضابط مرة أخرى للشاب وقد حملت شفتاه ابتسامة لا تكاد تظهر إلا من خلال عينيه تعجباً من هذا الشاب غير المسلح والمنكوش الشعر والمبعثر المنظر بثيابه وشرابه الوحيد، ومع كل هذا..... يتكلم «بثقة»..... لكنه - أي الضابط - لم يرد أيضاً.....
- وهنا أنزل الشاب يديه بعد أن نفذ صبره وبدأ يهدد رافعاً سبابة يده اليمنى قائلا: أقسم لك أن أي ضرر يمس هذا البلد وهذا الدين والعالم العربي والكرة الأرضية جميعها سأحملك أنت شخصياً مسؤولية ذلك..... أتفهم؟
- هنا ابتسم الضابط ابتسامة ظاهرة على شفتيه متعجباً من الكلام الذي سمعه وقال ساخراً: الكرة الأرضية مرة واحدة...
- الشاب (بحماس): نعم..... الكرة الأرضية، وربما الكون أيضاً...
- الضابط (بسخرية): لا حول ولا قوة إلا بالله..... الكون أيضاً...
- وهنا ازداد صراخ الشاب: صدقني أنت لا تفهم ما يجري حولك..... أنت لا تفهم ما يجري حولك...
- وهنا كتف الضابط يديه وتساءل مستغرباً من " ثقة " الشاب بنفسه: وما الذي يجري حولي؟

- الشـاب (بكل جـدية): لـن أقـول لـك أنت..... فـأنا أبحث عن مسؤول كبير في يده قرار يتخذ لينقذ الأمه والعالم أجمع من هذا الخطر القادم.....
- مسؤول مثل من؟!.... (سأل الضابط وكأنه يريد معرفة نهايتها مع هذا المعتوه)...
- وزير الدفاع.....
- هنا فتح الضابط عينيه فاغراً فاه قائلاً: وزير ماذا؟
- وزير الدفاااااااااااع... أو وزير الداخلية أو وزير الخارجية....

وهنا توقف العساكر عن التفتيش وأنزل بعضهم بندقيته إلى الأسـفل، فـقـد أحـسـوا أنهم وضـابطهم أمـام شـخص غـريب الأطوار.....

- وأثناء ذلك سأل الضابط من باب التسلية: وماذا تريد بهم؟
- هذا ليس شـأنك..... فالموضوع سري وهام، وأي تأخير أعيد وأكرر سأحملك أنت المسؤولية....
- وهنا قـال الضـابط بهـدوء من باب أن يأخـذ هذا الشـاب على «قد عقله» فقد اتضح للضابط أن هذا الشاب (نص لفه): وما هو الموضوع السري والهام والذي أي تأخير فيه ستحملني أنا المسؤولية.....

- الشـاب (بحمـاس): قلت لك مـراراً وتكراراً هذا ليس شـأنك، فالموضوع أكبر منك ومن أمثالك يا قطعة ملازم أول.....

وهنا لم يشأ الضابط أن يرد، فقد (علم) أنه أمام إنسان به خلل في عقله، ومن الخطأ أن يضع عقله في عقل هذا المعتوه، واكتفى بأن أمر عساكره بتقييد الرجل وأخذه إلى قسم الشرطة والاتصال بولي أمره من هناك والتحفظ على سيارته......

وبعد محاولات من الشاب الذي أزبد وأرعد رافضاً الركوب، ومع تحفظه على الموضوع الخطير من وجهة نظره، أُركِبَ بالقوة إلى داخل السيارة بعد أن قيد بالقوة وركب معه عسكريان في الخلف بخلاف السائق والعسكري الآخر الذي يكون عادة بجوار السائق، وعاد الضابط إلى سيارته، ومعه عسكري آخر ليقوم بمهمة القيادة، وفي داخل سيارة الضابط وسائقه، وبعد أن تأكد من أن السائق أبلغ المركز بالحادث الذي وقع للسيارة الأولى وأن ركابها قد سلموا ولله الحمد، سأل العسكري الضابط متعجباً باحترام: ما رأيك يا بو عبد الله (كنية الضابط والتي ينادى بها عادة على سبيل الاحترام، على الرغم من أنه ـ أي الضابط ـ أصغر سناً إلا أنه أعلى رتبة).....

- الضابط (وهو يفتش في الأوراق الثبوتية للشاب): وماذا ترى؟...... (ثم استطرد) أعتقد أنه شاب معتوه.....

- وأنا أيضاً.... (ثم استطرد).... ولكن ما هو الموضوع الهام والسري والخطير.....
- الضابط (على حالته الأولى نفسها): لا أدري.... ولكن ما أعرفه هو أننا وجدنا شيئاً نتسلى فيه اليوم تمهيداً للعقوبة غداً.....
- وهنا استنكر العسكري: عقوبة؟؟؟؟.... لماذا؟
- ألقى الضابط بنظرة من طرف عينه إلى العسكري قائلاً: لأننا أضعنا وقتنا ووقت الحكومة وسيارات الحكومة وشوارع الحكومة في مطاردة معتوه مثل هذا.....

(واستمر الحوار بين الضابط والعسكري حتى وصل الجميع إلى قسم الشرطة، ثم نزل العساكر ومعهم الشاب الذي اقتيد إلى مكتب الضابط بناء على أمره.....

وجلس الضابط على مكتبه وأمر بالشاب فأجلسوه على الكرسي يمين الضابط..... وهنا أول كلمة تفوه بها الشاب بعدما جلس قال بهدوء): يا طويل العمر.... أعلم أنك لن تصدقني، ولم تصدقني.... وأعلم أنك تعتقد أنني مجنون..... (ثم بدأ يتحمس قليلاً)... ولكن أرجوك.... لا وقت لدي لاعتقاداتك.... فالموضوع لا يحتمل، والموقف خطير... وأخشى ما أخشاه..... (وازدادت حماسته عما سبق، وهو يهز يديه المقيدتين)... أخشى ما أخشاه أن

تقع الفأس في الرأس، وأن يفتح تحقيق من قبل هيئة الأمم المتحدة، وساعتها سأقول كل ما عندي، وسأسرد لهم كل ما حصل هذه الليلة وبعدها ستطاردك لعنات البشرية جمعاء في حياتك وبعد مماتك.....

- الضابط (وهو واضعاً كف يده اليمنى على كف يده اليسرى وساعديه ومرفقيه على طرف الطاولة يقول باستخفاف): ما شاء الله..... وصلت الأمم المتحدة.....
- هنا استشاط الشاب غضباً من ردة فعل الضابط وصرخ قائلاً بعد أن قام من الكرسي والتفت بكليته وبيديه المقيدتين ناحية الضابط: تباً لك أيها المراهق، أنت لا تعلم ما الذي يجري؟..... صدقني لو أشرقت الشمس ولم يعلم أحد من المسؤولين بما حدث ستحدث كارثة....
- (وهنا تراجع الضابط بكرسيه إلى الخلف خوفاً من هذا الشاب الذي ربما يمسك بأي شيء أمامه ويضرب به أي أحد، فقال محاولاً تهدئة الموقف على طريقة شعرة معاوية): أخوي فهد..... (وهذا اسم الشاب بعد أن قرأه الضابط عن طريق الأوراق الثبوتية له).... اهدأ قليلاً، نحن دائماً في خدمتكم.... استرح في مكانك، وسآخذ أقوالك.....
- وهنا صرخ فهد: أنا قلت لك أريد أن أقابل مسؤولاً.....

- تنهد الضابط محاولاً مسك أعصابه: لا حول ولا قوة إلا بالله..... (واستطرد).... أخوي فهد من المستحيل جداً أن تقابل أحد المسؤولين في هذه الساعة المتأخرة، وإذا كان أي إنسان يريد أن يقابل مسؤولاً في أي ساعة شاء، إذن ما هو دور الموظفين؟!.... أنت أكتب شكواك عندي وسـ.....
- فهد (مقاطعاً بحنق): ليس لدي أي شكوى..... لدي موضوع سري لا يحتمل تأخيره دقيقة زيادة.....
- الضابط (لا زال يحاول أن يحتفظ بهدوئه): اكتب موضوعك.... اكتب ما تريد، وسنبرق للوزارة الآن، وعلى هذا الأساس وزارة الداخلية ستقرر إن كان موضوعك هاماً أم لا.....
- فهد (وقد هدأ قليلاً بعد أن وجد تجاوباً من الضابط): أخشى أن الإجراءات الرسمية تعطل البرقية إلى الغد...
- كلا.... أعدك أنها ستذهب في هذه اللحظة..... (ثم استدرك بهدوء لطمأنته)..... عموماً أنت أكتب ما تريد وأي تأخير سأتحمل مسؤولية.....
- حسناً..... ولكن فك قيدي حتى أكتب، وأحضر لي كأس ماء فأنا عطشان....

وهنا أمر الضابط بفك قيد فهد وإحضار ماء بارد للشرب، بل وزاد عليها «بيالة» شاي من باب كرم الضيافة ولطمأنة فهد وحتى

«يخلص من هذا اليوم الذي يبدو أن لا آخر له» حسب تعبير الضابط لأحد عساكره.....

وبعد دقائق معدودة، كان كل شيء موجوداً، وجاهزاً..... كأس الماء، بيالة الشاي، وورقة وقلم ليكتب فهد عليها برقيته التي يريد أن تصل لوزير الداخلية شخصياً.....

وبدأ فهد بكتابة معروضه أو موضوعه الهام كما يراه، والضابط قام بقراءة أوراق بعض القضايا الأخرى ريثما ينتهي فهد من الكتابة....

وسمح للعسكري بالخروج بناء على طلبه، وأمره بألا يدخل أحد عليه في هذه اللحظات، وخرج العسكري تنفيذاً لأوامر الضابط مما أدى إلى امتلاء الممر بالكثير من الأشخاص، وكل له قضية مختلفة عن الآخر.....

وبعد مدة ليست بالقليلة، انتهى فهد من كتابة خطابه الذي وصل إلى أربع صفحات، وسلمه للضابط وهو يقول بكل حماس: الآن يبرق، ولا تؤخره ثانية واحدة، فكفانا ما راح من الزمن الله أعلم ماذا تم فيها.....

والتفت الضابط متعجباً من (جراءة) و (ثقة) هذا الشخص في نفسه، وطريقته في (إلقاء الأوامر)، لكنه لم يرد بسوى ابتسامة

خفيفة، فقد (علم) الضابط أنه أمام شخص معتوه ومن الأفضل التعامل معه بهدوء.....

- ومد يده وسحب الخطاب ذا الأربع صفحات وقال بهدوء يميل إلى حدٍّ السخرية: أليس من الأفضل الاختصار..... ألا تعتقد أن خطاباً بهذا العدد الكبير من الصفحات قد لا يسمح وقت وزير الداخلية بقراءته.....
- وهنا صرخ فهد وقد فهم مغزى الضابط من سؤاله أنه (يأخذه على قد عقله) وأنه - أي الضابط - يحتقر أكثر مما يسأل وقام قائلاً: أنت لا تفهم..... فقط أرسله دون كلمة زيادة، أنت هنا لتؤدي خدمة، وأنا مواطن ومن حقي عليك أن تؤدي لي هذه الخدمة دون كثرة كلام فاهم.....
- من الأفضل أن أهدئ الموضوع، فهذا المعتوه ربما يأخذ أي شيء ويضربني به (قالها الضابط بينه وبين نفسه، ثم استدرك موجهاً حديثه لفهد): حسناً يافهد.... اهدأ.... اهدأ... ولكن هل تعتقد أن كل كلمة فيه مهمة.....
- نعم مهمة..... (ثم تغيرت نبرته فجأة وبدأ يستعطف الضابط وكأن هناك حدثاً جللاً يخشى حدوثه)... أرجوك... لا تؤخر ثانية زيادة، فأي ثانية فيها مصير أمة كاملة، بل وربما البشرية جميعاً.....

- (وهنا بدأ الضابط مستغرباً من تغير نبرة فهد، وبدأ وكأنه - أي الضابط - مقتنعاً بأن هناك شيئاً قد يحدث، فقوة وجراءة هذا الشاب وثقته بنفسه لم تمر عليه إلا قليلا جدا، وأصبح أكثر جدية وتفهماً لموضوع الشاب عندما قال): حسناً.... استرح وسأرسل البرقية (وهنا بدأ الضابط بقراءة البرقية والتي كتب فيها): صاحب السمو الملكي وزير الداخلية.... بعد التحية والسلام....

سيدي الأمير أنا المواطن فهد بن حامد سلمان، وفي كامل قواي العقلية أفيد سموكم بأني حاولت الالتقاء بسموكم أو سمو وزير الدفاع أو سمو وزير الخارجية، لأخبركم عن الحدث الجلل الذي حدث في هذه البلاد الطاهرة، ولكن ولظروف الروتين، والتأخير، ومن هم ليسوا على قدر المسؤولية..... (وهنا قطب الضابط حاجبيه عندما قرأ هذه الكلمة لأنه أحس أنه هو المقصود فيها تحديداً، وأكمل القراءة دون أن يعلق).... الذين عطلوني عن إخبار سموكم بهذه الحادثة.....

سيدي دون أن أطيل، إنه في الساعة الواحدة والنصف من بعد منتصف الليل، في هذا اليوم الإثنين، وأنا كنت في سيارتي بأمان الله، وفجأة سمعت صوتاً مدوياً على طريق الحاير ظننته في البداية عملاً تخريبياً، ولكن وبعد أن أطللت برأسي من نافذة

السيارة شاهدت شعاعاً غريباً كالبرق..... أو أنه ليزر... لا أعرف.. وبعد لحظات فوجئت بوجود كائنات غريبة، وتأكدت فيما بعد أنها أتت من الفضاء الخارجي، وربما من المريخ، وحيث إنني.....

(وهنا قام الضابط ودون أن يكمل القراءة بطي الورقة بكل هدوء، وضغط على الجرس تحت الطاولة الخاص بالنداء على العسكري خارج الغرفة والذي دخل سريعاً ودق التحية العسكرية قائلاً): نعم طال عمرك....

- الضابط متنهداً وهو يفرك وجهه بيديه من أثر الإجهاد والتعب هذه الليلة: خذوا هذا الشاب وضعوه في التوقيف، وفي الصباح اطلبوا ولي أمره ليأخذه، وخذوا تعهد على ولي الأمر أن ينتبه لهذا المعتوه وألا يتركه يهيم في الشوارع عند أنصاف الليالي.....

وهنا استشاط الشاب غضباً: أنت لا تصدقني..... تباً لك وللواسطة التي جعلتك في مكان أنت غير أهل له.....

ويشير الضابط إلى عسكره بأن يسحبوا هذا الشاب، فقد "أيقن" تماماً أنه أمام معتوه حقيقي..

وسحب الشاب إلى الخارج وهو يزبد ويرعد ويهذي بكلمات كثيرة على شاكلة: يا أغبياء... يا بقر..... أنتم لا تفهمون.... فقد

رأيتهم... وهكذا.... إلخ، والضابط غير مبالٍ به، فقد تعود على هذه العينات، وإن لم تكن بنفس الطريقة....

وأثناء ما كان الشاب فهد يسحب للخارج بصراخاته وصيحاته، وهم يحاولون تقييده إذ بأحد العساكر يدخل الغرفة سريعاً وبيده ورقة ودون أن يؤدي التحية العسكرية يصرخ قائلاً: حضرة الضابط هذه برقية أتت من وزارة الداخلية تحذر من وجود كائنات فضائية في مكان ما بالمملكة....

(وهنا صرخ فهد رافعاً يديه المكبلتين): هيييييييييه.... يحيا العدل..... يحيا العدل.... (ثم فجأة توقف، فهو الآن بين نارين.... هل يسعد لثبوت صحة كلامه..... أم يحزن للمأساة المتوقعة من وجود مثل هذه الكائنات على بلاده)....

أما العسكري فاستمر بقراءة البرقية والتي تأمر بضرورة توجه جميع الضباط من رتبة ملازم أول فما فوق إلى جنوب الرياض المكان المتوقع نزول الكائنات الفضائية فيه..... (فما كان من الضابط إلا أن غطى وجهه بيديه قائلاً): أقول لا بارك الله في الواسطة....

- فقال أحد العساكر مستنكراً من ورود هذه الكلمة في تلقي خبر كهذا: لماذا سيدي...

- فأزاح الضابط يديه ملتفتاً إلى العسكري قائلاً بأسى: إلى نهاية الأسبوع الماضي كنت برتبة ملازم، وكلمت واحداً من الجماعة بخصوص ترقيتي إلى ملازم أول، ومع الأسف توصى صاحبنا في الموضوع خير "وقدر الله علي" وطلعت ترقيتي أمس.....

obeikandl.com

obeikandl.com

إليك أيتها الساحرة

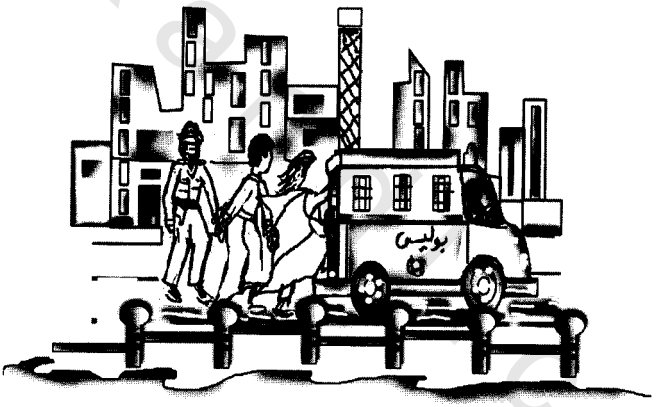

obeikandl.com

obeikandl.com

(١)

كانت الساعة العاشرة مساء عندما وصلت إلى فندقي المفضل ذي الخمسة نجوم في مدينة القاهرة، دخلت ومعي حقيبتي الصغيرة، واستقبلني موظفو الاستقبال في الفندق بابتساماتهم المشرقة، ووجوههم العذبة، وكلماتهم الرقيقة على مسامعي. وكلهم ترحيب بي بحكم زياراتي المتعددة لهذه المدينة الساحرة، ولسكني في فندقهم بالتحديد.....

سلمت جواز سفري للأمانات ثم ذهبت لغرفتي المعتادة المطلة على النيل، وهي الغرفة التي تحجز لي في الفترة نفسها من كل سنة.....

استلقيت على سريري ومددت قدمي العاريتين، وبقيت على هذه الحالة مدة من الزمن لم يقطعها سوى طرق أحد الموظفين على باب غرفتي في الفندق، فأذنت له بالدخول وأنا لا أزال على حالتي، فدخل وألقى عليّ تحية المساء ووضع كأس العصير الذي طلبته على الطاولة وقال: «كل سنة وأنت طيب يابيه».

ففهمت مغزاه وفعلت ما يريد دون إحراجه.....

وعدت إلى كأس العصير، وخرجت إلى البلكونة، وأسندت مرفقي الأيسر على سياج البلكونة، أخذت أرشف من كأس العصير وأنا أتأمل في هذا النهر الجاري منذ آلاف السنين .....

لا جديد، فهذه حالتي منذ أول مرة زرت فيها القاهرة منذ ١٠ سنوات مع العائلة وكان عمري وقتها ١٤ عاماً، إذا وصلت أشرب كأس العصير، وأتأمل النيل وأبناء النيل والسياح الداخل ومنهم والخارج والجالس والماشي، وكما يقال: «كل على همه سرى وأنا على همي سريت»...

رفعت يدي اليسرى، ونظرت إلى الساعة، ووجدتها وصلت إلى الـ ١٢,٥ بعد منتصف الليل، لم أتفاجأ فساعة أو ساعة ونصف أمام النيل، في فندق خمسة نجوم من الدور العاشر تتسيك الدنيا وما فيها، وفكرت بيني وبين نفسي للحظات: أهذا وقت للخروج أم الراحة أفضل، فبينما أنا أفكر في ذلك مستلقياً لم أدر فإذا الساعة التاسعة صباحاً.....

قمت من النوم سعيداً متثاقلا، سعيداً لأنني في إجازة، متثاقلاً لأنني في فندق خمسة نجوم، فما أروع النوم في هذه النوعية من الفنادق..... دلع..... وانبساط..... وانشراح، وعندما أكون في فندق من هذه النوعية أحس وكأنني ملك لزماني، ذهبت للحمام، أخذت (دشاً) بارداً منعشاً، نزلت إلى بهو الفندق وجلست في المكان

المخصص لي جرياً على عادتي السنوية، ولم يكن في بهو الفندق من العرب غيري سوى موظفي الفندق، أما البقية فهم أجانب من جنسيات مختلفة، لا عجب في ذلك؛ فالساعة لا تزال الحادية عشرة صباحاً، وإخواننا العرب يبدؤون يومهم عند الساعة السادسة أو السابعة مساء، وينتهي يومهم عند الساعة السابعة أو الثامنة صباحاً، وهذه ميزة القاهرة..... مدينة لكل الأذواق.

طلبت فنجان القهوة «تركي سكر زيادة وجريده»، وكنت بحمد الله أجد معاملة مميزة من موظفي الفندق، ليس لأني العربي الوحيد فقط، بل وأيضاً حتى بين أخواني العرب الآخرين، كنت ألحظ ذلك في ابتساماتهم معي رجالا كانوا أو نساء، في طريقة كلامهم، في (قفشاتهم) نظراتهم، كل ذلك كان يوحي بأن لي وقعا طيباً في نفوسهم، وربما يعود ذلك لأني -ولا أزكي على الله أحداً- كنت بعيداً عن الملذات الحرام، فأقصى ما أفعله هو النظر في النساء فقط لاغير وأرجو أن يسامحني الله على ذلك، أقول: ربما بسبب ذلك أخذوا عني فكرة جيده واحترموني، عموماً لا أقول سوى ما قال أبوبكر رضي الله عنه «اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون»

فتحت الجريدة من اليسار إلى اليمين وهي عادة ملحوظة لدينا نحن أغلب الشباب في هذه الأيام، لا أعرف لماذا ولكن، ربما يعود

ذلك إلى وجود الكاريكاتير غالبا في الصفحة الأخيرة من الصحف، فأصبحت عادة للمواطنين السعوديين أن يفتحوا الجريدة من اليسار، قلبت صفحات الجريدة صفحة صفحة، صفحتان تعمدت ألا افتحهما هما السياسة والرياضة، بسبب أن هذين المجالين بالذات يصعب جداً التفاهم بهما بالمنطق والعقلانية، فهما وإن اختلفا في الأهمية أكثر المجالات التي يكثر فيهما الجدل بلا نهاية، وهما المجالان الوحيدان اللذان يحلو للفائز فيهما أن يفلسف الأمور كيف يشأ، وأما الخاسر فليس لديه سوى الاستماع إلى (طنطنة) الفائز.....

فبدأت أقلب في الصفحة الأدبية ومقالات بعض الكتاب الساخرين منهم خاصة، وبعد ذلك بدأت في تقليب الجريدة للبحث عن مكان مناسب لقضاء السهرة فيه، وكي أكون أكثر وضوحاً مكان كوميدي، فأنا بطبعي إنسان أكره المآسي في الحياة، ولا حاجة لي في أن أتذكرها عبر الأفلام، (فاالذي فينا كافينا) كما يقال.....

وعندما انتهيت من قراءة جميع الجرائد الموجودة عندي كانت الساعة الواحدة ظهراً، وبدأت أحس بجوع ولكنه ليس شديداً، وفكرت لماذا عليَّ أن أنتظر الجوع حتى يكون شديداً؟ فأنا في إجازه ولا بد أن أمتع نفسي بما يرضي الله.

دفعت الحساب عن طريق الفاتورة، وقررت أن أخرج من الفندق إلى ميدان التحرير، حيث المكتبات الزاخرة بأمهات الكتب، وذلك لشغفي بالقراءة، وإن كان بعض أصدقائي يرون أنه شغف مصطنع، ولكن لا يهم ما يقولون عني، المهم أن أفعل ما يحلو لي دون أن يغضب ذلك أحداً علي.....

خرجت من الفندق، الشمس لن أكذب وأخدع نفسي وأقول مشرقة، بل إنها كانت وكالعادة حارقة..... أغسطس في القاهرة !!! لا جديد في ذلك، الهواء..... لا تسأل عن الروائح والتلوث الموجود في هذه المدينة، وإحقاقاً للحق: فالقاهرة تشبه لندن، فكما أنك لا تستطيع أن ترى من على بعد ١٠٠م في لندن بسبب الضباب، فأيضاً الحال هو كذلك في القاهرة ولكن لسبب آخر هو..... التلوث، ومع ذلك فأنا أعشقها، لا أعرف لماذا، فالعاشق لا يسأل لماذا أحب، فهو يعرف فقط أنه أحب، وأكتفي بترديد المقولة المعروفة «القلب وما يهوى».

أوقفت إحدى سيارات الأجره، وطلبت منه أن يوصلني إلى ميدان التحرير، وكعادة سائقي الأجرة في كل دول العالم التي زرتها على الأقل، ويشترك في هذه الصفة الحلاقون، فهم يحبون أن يتكلموا أكثر مما يعملون، وبالذات في القاهرة..... سألته كم المبلغ؟ وأنا أعلم أني بسؤالي لن أخرج لا بحق ولا بباطل....

- (الذي تدفعه يا بيه).

- لا أحب هذا الأسلوب.... فأنا أحب أن أطبق مثلكم القائل: «الذي أوله شرط آخره نور».

فابتسم قائلاً: ما بين الطيبين حساب..... (وفي أثناء ذلك أتى أحد العساكر وصرخ قائلاً) ياجيزه..... تحرك ولا تعطل المرور، فرد صاحب الأجرة: اعذرني يا باشا، فالزبون سيركب وسأنطلق....

وأحببت أن أستغل الموقف لصالحي فسألته: بكم أجرتك وإلا أخذت غيرك...

- الذي تدفعه أنا راضي به (واستدرك قائلاً) ولكن اركب بسرعة قبل أن يأتي عسكري المرور، (وقال جملته الأخيرة على عجل).....

فعرفت بحكم خبرتي بمصر والقاهرة بالذات تحديداً في هذا الوقت من كل سنة أن ما قاله لي صاحب هذه الأجرة سيقوله صاحب أجرة آخر، بل وبالشريط نفسه: الذي تدفعه يابيه.... اركب قبل أن يأتي عسكري المرور..... إلخ، لذا قررت أن أشتري راحتي وأركب اختصارا للوقت وهرباً من حرارة الشمس.....

- نورت مصر (قالها صاحب الأجرة مجاملاً)

- مصر منورة بأهلها.....

- الأخ من السعودية....
- نعم
- أجدع ناس
- الله يخليك.
- أسم الكريم.
- خليل.
- تشرفنا..... معاك محمد مصطفى
- أهلاً يا ميدو (قلتها لمعرفتي بخفة الروح لدى الشعب المصري وتقبلهم لروح النكته والدعابة وبالذات لسائقي الأجرة).
- «أهلاً يا بو الخل» (ثم استدرك قائلاً) لك مدة طويلة هنا؟
- البارح بالليل وأنا هنا....
- «جديد لانج» (وبدا يحدثني عن القاهرة ومعالمها التي ربما زرتها أكثر منه، وأعرف أماكنها كما هو يعرف مكان سكنه، وأخذت أعطي وآخذ معه في الحديث)....

(٢)

بعد نصف ساعة تقريباً وبسبب زحمة الطريق وصلت للمكتبة التي أريدها، وأستطيع أن أقول عنها: إنها مكتبة أتعامل معها منذ ما يقارب الأربع سنوات.....

obeikandl.com

دخلت المكتبة، وسلمت على عم فتحي ذي الستين ربيعاً صاحب المكتبة، الذي كان على وضعه المعتاد، جالساً على مكتب في الركن الأيسر من المكتبة، ممسكا قلمه بيده اليسرى، يكتب على الأوراق التي لا أعلم ما هي وربما كنت حسابات المحل، وبيده اليمنى يرتشف قليلاً من قهوته المعتادة، فرفع رأسه بكل حزم حين سمع تحياتي - ولم يعرف من أنا في البداية - فوضع فنجان قهوته وأخذ يبحث عن نظارته، ويتحسس على الطاولة بيده اليمنى بين الأوراق والكتب التي على سطح المكتب عله يجدها، وحينما وجدها لبسها واستبشر وجهه كأنه قطعة من القمر لا يشوبها سوى بعض التجاعيد، والتي توحي بأن كل خط منها يدل على أزمة أو مأساة حصلت لهذا الرجل الوقور، وأخذني بالأحضان قائلاً: أهلاً يا بني..... كيفك وكيف أحوالك

- أهلاً عم فتحي، أنا تمام، أنت كيف حالك.....
- أنا ينطبق علي قول الشاعر لبيد بن ربيعة.....

مللت تصاريف الحياة وطولها.

وسؤال هذا الناس كيف لبيد

- شباب يا عم فتحي شباب...
- عن أي شباب تتحدث (ثم استدرك قائلاً) ٦٠ عاما مضت، يا الله حسن الختام....

فقلت ضاحكا: ماذا دهاك يا عم فتحي، أنا وجدت لك الزوجة المناسبة وأنت تقول يا الله حسن الختام

زوجة ؟؟؟؟؟ !!! ... ما خلاص عليه العوض ومنه العوض...

- هو الحاج متولي أحسن منك في ماذا؟

- الحاج متولي عنده فلوس، وأنا على باب الله لا يوجد لدي سوى هذه المكتبة....

وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث من حكاية تجرها أخرى عن الأحداث السياسية الراهنة والرياضية، وأهم الكتب الجديدة والدواوين، فعم فتحي كان موسوعة في كل شيء، فهو بالنسبة لي لم يكن مجرد بائع كتب في مكتبة،بل كان مرجعاً متحركاً في جميع الآداب والعلوم الإنسانية وغيرها، أضف إلى ذلك خفة روحه وسرعة بديهته الحاضرة.....

وبعد ذلك بدأت أبحث في الكتب، وعم فتحي قائم معي يساعدني، ويشير علي ببعض الكتب ويبدي رأيه الصريح فيها، فشيء يتحدث عن ثورة يوليو بشكل عام، وآخر عن جمال عبد الناصر، وبعضها عن علاقة عبد الحليم بعبدالوهاب وكأس العالم، وأخرى عن حرب الجزائر وغيرها، والحرب العالمية الأولى وأثرها في تفكك الدولة الإسلامية، وأيضاً لا يخلو الموضوع من الكتب

الجديدة التي تتحدث عن المشاكل الراهنة مثل حرب الخليج الأولى، أو حرب الخليج الثانية، أو سقوط الاتحاد السوفييتي وتفككه وغيرها من المشاكل، حتى الحادي عشر من سبتمبر لم يخلُ الموضوع منها..... كتب بشتى المجالات في التاريخ في السياسة في القصة في الشعر في الرياضة..... إلخ، نثرها علي عم فتحي وكأنه يقول لي وبالعامية: (طب وتخير)، وبالفعل من كثرة ما هو معروض أصبحت لا أعرف ماذا اختار، وكما قيل: «إذا أردت أن تحير شخصا فخيره» ..... وكل ذلك مصحوب بآراء عم فتحي التي ساعدتني في اختيار ما يناسبني، فعم فتحي والحق يقال لم يكن من هؤلاء الباعة الذين يهمهم تسويق بضاعتهم على حساب زبائنهم، فهو رجل يهمه راحة زبونه وصداقته أكثر من فلوسه، وغالباً ما يكون قد قرأ جميع الكتب ويقول رأيه فيها بصراحة، ولا أنكر أني أحياناً أشتري الكتب بناء على رأيه فيها ولكن ليس دائماً، ولا أنكر أيضاً أن بعض الكتب التي يشير بها لا تكون جميعها كما قال، ولكن هذا لا يعني أنه كاذب، فأنا متأكد من أنه قال رأيه بصراحة، ولكن هذا ليس معناه أن أؤيده، فكون الشخص يكون صريحاً فهذا جميل، ولكن ليس شرطاً أن يكون مقنعاً.

وبعد أن نثر جميع الكتب لي على الأرض وبعضها على الطاولة، اختفى عني وتركني جالساً على الكرسي أبحث عن الكتب، وكأني

مدير المكتبة، وفي الحقيقة لم أحس باختفائه إلا بعد نصف ساعة أو ساعة إلا ربع؛ وذلك لأني أردت أن أسأله عن أحد الكتب، ولكني لم أجده، فقلت: لعله ذهب إلى هنا أو هناك، أكملت مطالعاتي في الكتب وبدأت أصفي من عشرات الكتب التي أمامي ما بين ١٠- ١٥ كتاباً حسب العنوان، وسأصفي من الـ١٠-١٥ كتاباً الموجودة تقريبا من ٢-٤ كتب أشتريها... فهذه عادتي عندما أذهب إلى مكتبة العم فتحي بالذات، فهو يتركني دوماً بالساعات آخذ فيها راحتي حتى أتاني بغداء بسيط كعادته من المطعم المجاور، وكان عبارة عن صحن كشري ومشروب بارد.....

- لماذا هذه التكاليف يا عم فتحي....
- لا تكاليف ولا حاجة، أنا يكفيني وجودك معي.....

(فأدخلت يدي بجيبي لأخرج مبلغاً من المال)

فقال العم فتحي بابتسامته الهادئة التي تحسسني بذاك الزمن الجميل زمن الخمسينيات والستينيات والتي لم أَحْيَها إلا من خلال ما سمعت عبر وسائل الإعلام، وما حدثني هو عنها شخصيا: ماذا تفعل؟

- الحساب...
- الحساب يوم الحساب....

- لا بد أن أدفع يا عم فتحي، فليس من المنطق أن أزورك وتتولى أنت كل شيء....
- الحساب مدفوع يا خليل.....
- على الأقل نصه..
- قلنا الحساب مدفوع...
- ولكن....
- لا تناقش ولا تجادل، أنت هنا ضيفي، وعندما أزورك في السعودية سأكون ضيفك...
- أنت صاحب محل يا عم فتحي، وأنا أيضاً صاحب محل؛ لذلك لا بد أن يكون لي دور....
- خلاص، مرة ثانية، ثم ألم أقل لك إن المحل المجاور لابن أخي..... أي لا حاجة لأن تدفع أو أن أدفع.....، فهو الذي عزمك.....
- عبد الرازق !!!!!..... كيف أخباره، لماذا لا يأتي في الحقيقة أنا مشتاق إليه...
- بخير، وسوف يأتي بعد قليل.....

(وافترشنا الغداء في غرفة جانبية صغيرة موضوعة لعدة أغراض، غداء، قيلوله، صلاة.... إلخ، وكان أحلى ما في الغداء

obeikandl.com

بساطته، وبعد ذلك استلقى العم فتحي مسنداً ظهره إلى الجدار وأشعل سيجارته وعزمني على واحدة).

- السلام عليكم..... (صوت من خارج المكتبة يردد تحية الإسلام، تحية أهل الجنة، تحيتهم يوم يلقونه سلاماً..... اللهم اجعلنا جميعاً منهم، الصوت لم يكن غريباً، وليس فقط لم يكن غريباً، بل إنه صوت أعرفه تماما المعرفة..... أطل صاحب الصوت علينا بوجهه الدائري وجسمه المنتفخ وبابتسامته المتفائلة..... أبيض البشرة، مفلطح الأنف، بشنب أسود كثيف وأسنان صفراء من أثر السجاير..... إنه عبد الرازق (الفخراني).... وطبعاً اسمه الحقيقي لم يكن عبد الرازق الفخراني، ولكن لقبه أهل الحي بـ (الفخراني) للتشابه الكبير بينه وبين الممثل يحيى الفخراني.....)، فأعاد قائلاً بمداعبة:
- قلنا السلام عليكم...
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.....
- أهلاً يا خليل... كيف أحوالك وأحوال أسرتك.....

(طبعاً سؤاله عن الأسرة كان من باب المجاملة لا أكثر فهو في حياته لم يرهم، بل إن أسرتي آخر مرة زارت فيها القاهرة كان ذلك عام ١٩٩٥م)

- تمام والحمد لله، أنت كيفك وكيف الوالد والوالدة.....
- كيف أخباركم بعد ١١ سبتمبر..... (واستطرد مازحاً).... والله وأصبحتم إرهابيين، بعد ما كنتم مشهورين بأشياء أخرى.....

(وأعتقد أني فهمت مغزاه بكلمة، أشياء أخرى، ولكني لم أشأ أن أجادله تطبيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم بيت بربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، أضف إلى ذلك أني أتيت إلى القاهرة لأستمتع بإجازتي لا أن أضيعها في مهاترات لا طائل منها ولا منفعة إلا أنها كزبد البحر تذهب جفاء.....).

وأكملت حديثي معه عن ١١ سبتمبر دون أن أدقق في كلمة (أشياء أخرى)، فتركتها لنيته والله أعلم بها..... وقد جرنا الحديث إلى ما بعد ١١ سبتمبر وقبل ١١ سبتمبر (فالحديث ذو شجون) كما يقال.....

وفجأة أغلق عم فتحي جهاز التسجيل وقال: حان وقت صلاة العصر.....

وبعد أن صلينا العصر جماعة في تلك الغرفة متعددة الأغراض استأذنت عم فتحي وابن أخيه عبد الرازق بالخروج.....

عدت إلى الفندق مع سائق الأجرة محمد مصطفى الذي تفاهمت معه على أن يبقى معي طوال الرحلة، فقد أعجبني حديثه وروحه المرحة ودمه الخفيف، وإن كان لا يعرف من الثقافة إلا اسمها، حتى أني حينما حدثته عن أحمد عرابي وسعد زغلول، تساءل بعفوية: وهل هما لاعبا كرة قدم؟ !!!!!! ففضلت بعدها أن أدير دفة الحوار إلى حسام وإبراهيم حسن وتوابع انتقالهما من الأهلي إلى الزمالك !!!!!!

(٣)

كانت الساعة الخامسة تماماً عندما وصلت إلى الفندق، دخلت غرفتي وخلعت ملابسي واستلقيت عاري الصدر والساقين..... وبقيت للحظات غير محسوبة على هذا لحال، ثم اعتدلت في جلستي وأخذت أفتش في جيب البنطلون الملقي بجانبي على السرير عن ورقة بها رقم صديقي فهد، وبعد أن وجدت الرقم سحبت الهاتف واتصلت به..... لا أحد يرد.

- لا زال نائماً (رددتها بيني وبين نفسي متأكداً.... فهو على هذه الحال منذ عرفته سهر إلى الصباح ونوم حتى المساء، أما الصلاة فالله أعلم بها.....».

عدت للاستلقاء من جديد، وأخذت أقلب في القنوات الفضائية عن طريق جهاز التحكم عن بعد، وبعد ذلك بربع ساعة أو

تزيد، عاودت المحاولة من جديد، وبعد ثلاث رنات رد علي صوت متثاقل يوحي بأنه مستيقظ للتو من نومه: آلو....

- هلا ...
- هلا..... (بتثاقل)...
- فهد.....
- لا.... من تريد...
- من معي....
- (رد بنفس سيئة): من المتصل..... أنا أم أنت...
- ياخي أنا خليل.... أنت من؟
- خليل؟؟؟؟ خليل من؟
- خليل من؟؟؟ (قلتها مستنكراً)، (واستطردت ساخراً) خليل بيومي علي مرسي (طبعاً لا اسم أبي بيومي، ولا جدي علي، ولا عائلتي مرسي، فكل ما في الأمر أني قلتها ساخرًا من هذا الشخص الذي أعرفه تمام المعرفة، ولكنه لم يعرفني بحكم أنه لم يزل ببقية نومه، ومعروف لدى الجميع أن أي شخص في هذا الوضع الذي عليه صديقي من الصعب عليه التركيز في الأصوات التي يسمعها أو الأشياء التي يراها وتحدث له، فالإنسان في هذه الحالة -حالة ما بعد الاستيقاظ من النوم مباشرة- يعتقد أنه لا زال مستمراً في حلمه الذي كان يعيشه في أثناء نومه)...

- لا أعرف أحدا بهذا الاسم..... (وقفل السماعة في وجهي)...

(فابتسمت بيني وبين نفسي وعاودت الاتصال، فرد علي الصوت نفسه)

- هلا....
- بدر....أنا خليل....
- أهلاً خليل... صدقني لم أعرفك في البداية فأنت تعرفني عندما أقوم من النوم لا أعرف أمي.....
- لست أنت وحدك، كلنا ذاك الرجل، المهم متى تريدون أن نتقابل....
- انتظر حتى أسأل فهد .....
- فهد لن يستيقظ الآن؟ لا بد أن نحدد موعداً .....
- أنا لا أعرف، فأنا أول مرة أحضر القاهرة، فهد هو الدليل في هذه الرحلة والمنسق فلا شيء يتم إلا بوجوده.....

(ولم يكن ذاك شيئاً مستغرباً، فشخصية بدر من النوع البارد والاتكالي، يحب أن يكون مرؤوساً فهو دائما مع من يقوده، إن قاده صديقه إلى المسجد صلى، وإن قاده أخر إلى المرقص رقص، وإن قاده أحد إلى ساحة المعركة جاهد، فهو وكما يقال (قدام) ولو تسأله إلى أين وعن الأسباب لقال لك (لا أدري)..... ومع كل ما تقدم من صفاته فهو يأتي إلى القاهرة لأول مرة، ومع من؟..... مع

فهد نقيض بدر، ففهد شخص يحب أن يكون قائداً، يحب أن يكون مسيطراً دائماً، وغالباً ما تكون بيني وبينه صراعات من تحت لتحت لكسب الجولة، والحق يقال: إنه غالباً ما يكسبها؛ لأنه باختصار يعرف كيف (يضرب من تحت الحزام) أما أنا..... فلا أعرف، فهو يعرف ماذا يريد الشباب ويسخر كل ذلك لمصلحة زعامته بين (الشلة)، أما أنا فأعرف أيضاً ما يريد الشباب ولكن لدي حدود لا أتجاوزها..... ففي النهاية (كل بعقله راضي).....

- حسناً.... الساعة الآن ٥,٣٠، سأخذ (دشاً) وأغير ملابسي، وقل لفهد الموعد بعد ساعة في بهو الفندق..... تمام.

- خلاص، تمام.

وعدت واستلقيت مرة ثانية، فلا يوجد هناك ما يستعجل عليه..... ساعة كافية جداً لما أنوي عمله، ليس هذا فحسب، بل إني أعرف أن الكلمة الأولى والأخيرة ليست لبدر بل هي لفهد الذي سيأتي متأخراً متعمداً لا لشيء، ولكن ليثبت لنا ولنفسه أن الكلمة الأولى والأخيرة له.....

(٤)

الساعة السابعة والربع مساء، مضت ربع ساعة وأنا في بهو الفندق، لم يأت أحد كما توقعت..... وبدأت في هذه الفترة فترة التحول التدريجي من

سياح أجانب إلى سياح خليجيين، تبدأ بهدوء وتنتهي بهدوء، وكأنها انتقال سلطة في بلد غربي من حكومة سابقة إلى حكومة حالية، كل شيء يتم بهدوء، يبدأ الأجانب بالتناقص ويبدأ الخليجيون بالتزايد..... بعدما تصبح وكأنك في مبنى الأمم المتحدة، تمسي وأنت في المنطقة الخليجية المحايدة، شباب وبنات وعائلات وعزاب، رجال ونساء جميعهم من منطقة واحدة، تراهم وكأنك في قلب أحد شوارع شمال الرياض، سيارات فارهة تقف على بوابات الفندق وملابس على الموضة (وكله بالتقسيط)..... مكان لا يفصله عن أحد أسواق الرياض سوى زوال الأقنعة عن وجوه فاقع لونها بعضها يسر الناظرين وبعضها الآخر تود لو أن بينك وبينها أمداً بعيدا.....

الساعة التاسعة مساء، شابان من آخر الممر وأنا ألمحهما من مكاني على الطاولة، أحدهما حنطي اللون طويل القامة ذو أنف دقيق معتدل لا ميزة بوجهه ولا عيب وكان ذلك بدراً، أما فهد فلا تنقصه الوسامة، بل كان وسيماً بكل ما تعنيه الكلمة، ولربما هذا ما أعطاه نوعاً من الغرور أو ربما هذا ما اعتقدته، متوسط الطول أسود الشعر ناعمه أبيض البشرة، تلاحظ على وجهه آثار النعمة والترف، وحين وصلا بادر فهد بالسلام، فرددت عليه:

- وعليكم السلام (فاستطردت مؤنباً دون غضب) وهل هذا كان موعدنا؟

- أنت تواعدت مع بدر وليس معي (فجلس على الكرسي بلا مبالاة، وأنا أعرف أن الكلام لا طائل منه، فهو صادق فأنا فعلاً تواعدت مع بدراً ولكن بدر لا كلمة له..... وحاول بدر أن يبرر موقفه بالحلف والقسم بأنه أبلغ فهداً وأنه لا دخل له في التأخير)، فقلت له: لا يهم تحصل في أحسن العائلات.....

فجلسنا نتجاذب الحديث ما بين حوار شيق إلى مضحك، ففهد والحق يقال - وإن كان مغروراً ويحب نفسه - شاب يستطيع أن يضفي على الجلسة نوعاً من المتعة بفكره وسعة اطلاعه (وقفشاته) أحياناً، ولكن..... (لا تدقق) أي بالعامية (خذ وخل) فهو رفيق جلسة فقط، أما بدر (فوين ما يروح فهد أنا وياه)..... وأثناء ما كنا نتحدث فجأة ودون مقدمات قفز فهد من كرسيه واتجه ماشياً بسرعة ناحية الطرف الآخر من الممر، فقال بدر مستغرباً بحكم أنه أول مرة يسافر مع فهد: ما الذي جرى؟

- لا بد وأنه رأى فتاة كعادته..... (والتفت إلى الخلف وكان فعلاً كما توقعت، فقد رأى فهد فتاة وهو يحاول أن يوقعها في شباكه، فهو لا يهنأ بفتاة واحدة، ويؤمن بمبدأ (امرأة واحدة لا تكفي)، بل ويعشق أن يطلق عليه (زير نساء)، ومع الأسف فخراً.....

وبعد أن انتهى من عملية المناورة والالتفاف، وعملية القبول والرضى، وضع ما يريد على طاولة جانبية، وعاد إلينا وهو يراقب الموقف وجلس وهو لا يزال يترقب، ثم تنهد قائلاً بعد أن أخذت الورقة الصغيرة التي كانت على الطاولة: أخيراً.....

ثم سألته ساخراً: إلى متى وأنت مستمر على هذه الحال؟

- (فرد بسخرية أكثر): بل أنت إلى متى على هذه الحال؟
- وماذا بي؟
- حالك لا يسر عدو ولا حبيب.
- لماذا؟
- ٢٤ سنة ولم تجرب النساء أبداً.....
- وما المشكلة؟
- (فقال بخبث): أخشى أن تكون هناك مشكلة.....
- (قلت متجاهلاً ما يعني): من أي نوع تقصد؟
- (قال محاولاً استفزازي): أقصد أنه لا يمكن أن يكون هناك رجل بلغ هذا السن ولم يجرب النساء إلا أن يكون واحداً من اثنين..... إما أن يكون عنيناً أو شيء آخر.....
- (فاجبت ببرود): العنين عادة تطلق على الرجل الكبير في السن..... فلربما كنت شيئا أخر.....
- (فقال بنظرات لها مغزى): لا أعتقد، فأنا أرى أمامي رجلاً

obeikandl.com

كامل الرجوله، ولكن تنقصه الثقة بالنفس.....

- فهد..... أنت تعرفني منذ زمن، وتعرف طبعي ولا يمكن أن تغيرني بين يوم وليلة...
- اسمعني يا خليل، منذ أن عرفتك وأنا تعهدت نفسي إما أن تصلحني وإما أن أفسدك، وأتمنى أن تكون الأولى..
- (فقلت ضاحكاً): وأخشى أن تكون الثانية.....

(فضحكنا سوياً، فهذه كانت علاقتي بفهد منذ عرفته، وهذه حال جلساتنا سوياً حتى مع الأصدقاء، حوارات يغلب عليها الرموز والشفرات بيني وبينه، فبينما كان الأصدقاء يعتبرونني -مازحين- الجانب الملائكي في (الشلة)، كان فهد يمثل الجانب الشيطاني، وعلى الرغم من ذلك لم أكن أحمل ضد فهد أي حقد شخصي، فعلى الرغم من غروره ودناءته في بعض الأحيان إلا أني كنت أتمنى أن أكون السبب في إصلاحه بسبب عبقريته وسعة اطلاعه وثقافته وقوة تأثيره على من حوله.....

(٥)

الساعة الآن ١٢,٥ صباحاً، قررنا سوياً الذهاب للحسين والجلوس في ذاك المكان الذي يفوح أصالة، ويحسسني وكأني أحيا إحدى روايات نجيب محفوظ، بل وكأني نجيب محفوظ شخصياً..... حتى إني أتساءل أحياناً، من أضاف لمن ومن

أوحى لمن، وهل نجيب محفوظ برواياته أبرز الحارة المصرية أم أن الحارة المصرية أخرجت ما لدى نجيب محفوظ من الإبداعات الروائية، أم الاثنين معاً، وهل لو قضى غازي القصيبي مثلاً حياته في القاهرة لكان نصيبه من الإبداع أفضل.....؟ أعتقد نعم، بدليل أن رواية (شقة الحرية) والتي تعتبر من أفضل روايات غازي القصيبي دارت أحداثها في مصر.....

جلسنا أنا وفهد و(ظلال) فهد أو بمعنى أخر بدر، في أحد الأماكن، واختار فهد تحديدا جلسة في وسط الزحام؛ وذلك لكونه يحب الناس، ولكي يكون قريباً من أصحاب المطاعم بحيث لو نادى على أحد العاملين يكون صوته مسموعاً..... وله في ذلك مآرب أخرى!!!!!!

جلس معنا محمد مصطفى السائق الذي استأجرته، وبدأ فهد ومحمد مصطفى بالحديث عن القاهرة وما يجري بها في هذا الوقت بالذات من كثرة السياح سواء خليجيين أو غيرهم، ومن خلال الحديث عرف محمد مصطفى مصادفة أن هذه ليست أول زيارة لي للقاهرة، وجر ذلك الحديث عن ليالي القاهرة وعن الجانب الآخر فيها!!!!!

- غير معقول (قالها محمد مصطفى عندما قال له فهد وأنني وعلى الرغم من زياراتي المتعددة للقاهرة ليس لي أية علاقة

مع أي نوع من النساء).

- (فقال فهد ضاحكاً): تصور.....
- عشر سنين تأتي للقاهرة وهذا حالك....
- ليس هذا فقط، بل إنه حتى الشراب لا يشرب.....
- الله الله الله، على كذا أنت حنبلي..... (فاستطرد ضاحكاً) متع شبابك يا خليل فالعمر يمضي والنكهة تبقى.....
- فقلت له: يا محمد يا مصطفى، هذه ليست أول مرة أزور فيها القاهرة، فلا تعتقد أنك بأسلوبك هذا قد تغيرني.....
- أنا لن أغيرك، أنا فقط أنصحك.....
- تنصحني؟!!!!!!! (فقلت وأنا أحاول أن أبدو هادئاً)..... أصلحك الله بماذا تنصحني؟
- بالمتعة..... باللهو.... (ثم ضرب على كتفي)، أنت لا زلت شاباً (فتدخل فهد قائلاً): تعبت معه، ولكني لن أيأس..... فلا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة..... (ثم وجه حديثه لمحمد مصطفى).... ما رأيك يا ميدو.
- كلامك ممتاز يا فهد (ثم وجه حديثه لي قائلاً وهو يضرب بيده على الطاولة بأطراف أصابعه ضربات سريعة للدلالة على أهمية ما سوف يقول): أنا سأدعوك الليلة لسهرة تنسيك الدنيا وما فيها.....

- (قلت: وأنا واضع يدي على خدي): قال ادعوا، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.....
- ياساتر (قالها فهد) كفرتنا يا خليل....
- أنا لم أكفر أحداً، ولكنه خاطر قد أتاني.....
- عموماً دعوتك أنا سألبيها يا ميدو، ولكن متى؟

(وتم بين محمد مصطفى وفهد تحديد المكان والزمان لقضاء سهرتهما الموعوده ومعهما ظلال فهد ..... (بدر)، أما أنا فحين أتت الساعة الثالثة تماماً، ذهبت للفندق..... حتى أنام).

(٦)

..... مضت الأيام في القاهرة على هذا الحال، أستيقظ من نومي حوالي الساعة العاشرة صباحاً أو بالكثير الثانية عشرة ظهراً، أنزل إلى بهو الفندق وأشرب قهوتي مع قراءة بعض الجرائد ثم أتنزه في وسط القاهرة، مرة ميدان التحرير وأخرى الأزبكية حيث المجلات والجرائد القديمة، والتي لي فيها رغبة ملحة، وأحياناً وليس دائماً أزور العم فتحي ليس بالضرورة لشراء كتب ولكن فقط لأجلس معه قليلاً ويصاحبنا أحياناً عبد الرازق، وكل هذه المشاوير وبصحبتي محمد مصطفى الذي وإن أحسست بنفور منه نوعاً ما بسبب ما عرفت عنه وعن شخصيته وحبه للمال حتى ولو على حساب شرفه، فقد فهمت مع الوقت أنه يعمل سائقاً للتاكسي

لأهداف أخرى!!!!!!!! إلا أنه ومع ذلك يبقى إنساناً خفيف الظل وسريع البديهة في (القفشات) وصاحب أحاديث شيقة على طريقة (صدق أو لا تصدق وليس المهم أن تصدق) فأنا عادة أحب أن أرى الجانب المضيء في شخصية الإنسان وأترك الجانب المظلم لله فهو أعلم بعباده ..... وبعد ذلك أعود إلى الفندق كالعادة، وفي الساعة السابعة أو الثامنة مساءً أتقابل مع فهد وبدر بناء على موعد مسبق كالعادة ..... وهذه كانت أيامي في القاهرة..... ونعود للجلوس للحديث بأحاديث بعضها جديد وأغلبها معاد ومكرر....

- هه، كيف قضيت ليلتك البارحة (سألني فهد).....
- عدت إلى الفندق بعد ما تركتم، وقرأت كتاباً إلى أن حان وقت الصلاة وبعدها نمت.
- ما أروعك (قالها فهد ساخراً)..... ولماذا هذه التكاليف وتأتي للقاهرة؟
- وهل أخذت شيئاً من جيبك؟
- كلا..... ولكنك أخذت مقعداً لشخص كان يحتاجه أكثر منك (فضحك فهد ومحمد مصطفى، أما بدر فضحك بناء على ضحك فهد دون أن يفهم مغزى كلمة فهد، أما أنا ففهمت ما يعني ورددت عليه ضاحكا):
- ولكني سبقته إلى هذا المقعد..... فكلنا يحتاجه ولكن كل بطريقته.....

- وهل تعتقد أن السهر حتى الساعة الثالثة ثم قراءة كتاب والنوم يحتاج لأن تأتي إلى القاهرة؟
- إذن إلى أين تريدني أن أذهب؟
- يكفي أن تقضي إجازاتك في الرياض أو جدة أو الدمام، وتفعل ما تريد على هواك، دون مضايقة خلق الله (وقال الكلمة الأخيرة ضاحكا).
- وهل تعتقد أن السهر إلى السادسة أو السابعة صباحاً في الأندية الليلية يحتاج إلى أن تأتي إلى القاهرة.

(ثم قال وهو ينفث من دخان الشيشة من صدره حتى امتلأ المكان دخاناً وكأننا في مدينة الضباب): إذن أين تريدني أن أذهب؟

- يمكن أن تذهب إلى أي دولة شئت (ثم استدركت قائلاً) بل إن كنت تبحث عما في بالك خاصة، فيمكن أن تجده في أي بلد حتى في الرياض وجدة والدمام..... فالفساد موجود والخير موجود في كل مكان.....

(ثم وضع خرطوم الشيشة على الطاولة وقال): يا أخي لماذا تسمي الأشياء بغير مسمياتها وتأتي بأسماء أكبر مما نتحدث عنه..... فساد، كفر، فسوق، عصيان ..... فكل ما في الموضوع أننا نريد أن نمتع أنفسنا في هذه الإجازة بعد عناء سنة كاملة من العمل، أليس من حقنا أن نستمتع ولو قليلاً بالماء والخضرة والوجه الحسن.....

- استمتع كما تريد، وهل أنا أمسك بك عن الاستمتاع؟! ولكنك ترى المتعة من زاوية وأنا أراها من زاوية أخرى..... (ثم استدركت قائلا).... ثم أنت من يفتح الموضوع دائما يا عزيزي.....

(فتدخل محمد مصطفى قائلا): لماذا أنت مكبر الموضوع هكذا، ثم ألم تسمع المثل القائل: ساعة لقلبك وساعة لربك.....

- إنه مثل على أي حال.....

(وانتهت هذه الليلة كسابقاتها، الساعة الثالثة وقت إغلاق المقاهي في الحسين، يبدأ الكل ينتشر إلى مبتغاه، وكان مبتغاي كعادتي إلى الفندق فالقراءة ثم النوم، واتفق فهد ومحمد مصطفى على أن يقضيا السهرة سوياً بعد أن يوصلاني إلى الفندق، وبالطبع..... معهم بدر (ظلال فهد).....)

ودخلت غرفتي، وبدأ قريني يزين لي سوء عملي..... هل فعلاً هم صادقون؟، ربما..... شاب يبلغ من العمر ٢٤ سنة ليس له علاقة مع النساء سوى ما يشاهده عبر وسائل الإعلام..... حتى إني وأنا أفتح أزرار قميصي استرجعت كلمة لعادل إمام في أحد أفلامه عندما قبلته صديقته في الفلم، ذهب لا تسعه الدنيا من الفرح ليخبر صديقه بما حصل قائلاً: باستني ياللا..... باستني، أنا عمري ماحد باسني إلا النسوان اللي في البلد لما باعيا، ودا اللي جابلي العيا.....»

كلمة وإن كان فيها من الطرافة والسخافة في الوقت نفسه إلا أنها تصوير مشابه لحالتي..... أعوذ بالله، تمتمتها بيني وبين نفسي وفضلت أن آخذ الكتاب الذي بدأت فيه بالأمس لأكمله، واستلقيت على سريري عاري الصدر ممسكا بدفتي الكتاب وعيني على أوراقه وفكري مع فهد وكلامه..... ففهد شاب له عينان جذابتان تسحران كل من يقابله رجالاً ونساء، لديه قدرة كبيرة على الإقناع، فهو دائماً ما يجعلك تفكر في كلامه حتى وإن كان على خطأ، فهو يستطيع أن يقلب الموازين والأدله والألفاظ ويجعلها لصالحه دون أن تعلم، فتجد نفسك أحياناً بين مبادئ قد تربيت عليها وبين إنسان مؤمن بمبادئ تخالف العادات والتقاليد، وربما أتفق مع من يقول: إن العادات والتقاليد غير مهمة، وإنها ليست شرطاً أن تكون صالحة لكل زمان ومكان، ولكن عندما يأتيني ويخالف حتى الدين، ويحجني بأني أنا المخطئ، بل ويقول: «تسمي الأشياء بغير مسمياتها» هذا ما لا أستطيع تصوره ولا تحمله.....

أصلحك الله يا فهد، ولكن يبدو أنه أعلن إشارة التحدي منذ زمن بعيد، وأنه عندما يكرر عبارة «إما أن أفسدك وإما أن تصلحني» فإنه يعني ما يقول..... وها أنا أقبل التحدي يا فهد.

(٧)

كانت إحدى المرات القلائل التي إستيقظ فيها من نومي الساعة الثالثة مساء وذلك نتيجة عدم نومي مبكراً بسبب الأرق الذي انتابني ليلة البارحة حيث قضيت تلك الليلة ساهراً بلا سبب مقنع إلا من تفكير بفهد وكلامه بعض الأحيان ومن هم على شاكلته من الذين يحبون أن تشيع الفحشاء..... مما أدى إلى خلل في برنامجي اليومي، ففضلت الاستلقاء على سريري وعيناي إلى الأعلى أفكر بيني وبين نفسي، ما الذي يمنع من التجربة، ولو لمرة واحده، على الأقل أذكر أني عملت شيئاً في شبابي، وأخذت أتقلب في سريري حوالي الساعة، وبعد ذلك اتصلت بمحمد مصطفى في بيته، الذي أتاني بعد ما كلمته مستغربا من سبب تأخيري في الاتصال..... وقررت إخباره عن نيتي التي نويت، وبعد صراع بيني وبين نفسي على إخراج ما نويت عمله إلى النور لأنقاد خلفه إلى الظلام .....

ركبت السيارة مع محمد مصطفى، وكانت الساعة الرابعة والنصف تقريباً، قضيت بعض المشاوير وكان آخرها مكتبة العم فتحي، وأثناء عودتي مع محمد مصطفى بدأت أفكر جديا في الموضوع..... وبدأت ملمحاً لمحمد مصطفى بعد أن رأيت حسناء قاهرية: ياللروعة.

- لم تر شيئاً بعد.....

- أحلى من هذه؟
- يووووه ..... بكثير....
- ولكني لم أر بعد.
- لإنك لم تجرب أبداً.....
- (وقلت مترددا وكأني لا أريد أن أقولها): أعوذ بالله.....
- (فقال ساخراً): إياك نكون كفرنا لا سمح الله.....
- لا..... لم أقصد ذلك، ولكني لا أريد أن أعصي الله جهارا نهارا.....
- (فقال بخبث): لن تكون جهاراً نهاراً، بل ستكون ليلاً سراً.....
- (فقلت متسائلاً): بيني وبينك؟
- بيني وبينك.....

واتفقنا على أن يبحث لي عن مكان آمن أقضي فيه ليلتي دون أن يدري أحد عني وخاصة..... فهد، ونبهت محمد مصطفى على ذلك.....

وعدت إلى الفندق، ومكثت في غرفتي من الساعة السابعة وحتى الثانية عشرة بعد منتصف الليل، ولم أعبأ باتصالات أصدقائي، فقد كان كل تركيزي على هذه الليلة التي وعدني بها محمد مصطفى.....

وأتت اللحظة الموعودة، الساعة الثانية عشرة وخمسة وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل، باب الغرفة يدق، وإذا به محمد مصطفى..... الذي أخذني بدوره إلى أحد الشقق المفروشة، وكانت الساعة الواحدة بالضبط عندما دخلت الشقة، في هذا الوقت الذي ينزل فيه الله سبحانه وتعالى ويقول: «هل من مستغفر فاغفر له، هل من تائب فأتوب عليه»، كنت أنا في المصعد - يا فرحة أمي فيني - مع محمد مصطفى الذي ضغط على الدور السابع للعمارة، وكان يرقبني بابتسامات صفراء، وكأني أتخيل رجلاً بصورة إبليس، بل هو إبليس بعينه بصورة رجل..... أما أنا فكنت متردداً بين عقل يذكرني بالله ونفس سوداوية أمارة بالسوء تذكرني بشماته أصدقائي وأحسست وكأني بدر (رقم ٢) شخصية بلا هويه.....

فتح محمد مصطفى الشقة، ودخلت أنا وهو، وقال مازحاً: ادخل برجلك اليمين....

(فتمتمت بيني وبين نفسي): اللهم اجعلنا من أهل اليمين.

ودخلت شقة متوسطة الحال، المدخل يصلح لكل شيء صالة جلوس، ممر، أو أي شيئ أخر، وغرفة نوم واحدة لا يوجد بها سوى سرير واحد، ولكنه يصلح لنفرين، قالها محمد مازحاً بعد أن رأى دهشتي من السرير.....

جلست على الكنبة الموجودة في الصالة بانتظار (البضاعة) كما أسماها محمد مصطفى....

وفي الساعة الثانية تقريباً بعد منتصف الليل وبعد أن قتلت ٢٤ سيجارة قلقاً، لا أعرف لماذا؟ بدأت أسمع صوت أقدام ناعمة خارج الشقة، وإذا بهن ثلاث فتيات، الأولى والثانية علاقتهن مع الجمال مثل شمس وقمر (كل يدور صاحبه)، أما الثالثة فتبدو أكثر حسناً وجمالاً وأنوثه وإغراء و..... خبرة.....

وجلست الفتيات الثلاث، اثنتان بجانبي وواحدة في الكرسي الذي أمامي، ولم يحتج الوقت كثيراً حتى (أتفحص البضاعة) كما أسمع من زملائي؛ لأن الثالثة واضح أنها أجملهن.....

فقام محمد مصطفى ومعه الأخرياتان وقال وهو يهم بالخروج:

- كل سنة وانت طيب.....
- وانت طيب... (متجاهلاً قصده، فأنا أعطي لإحدى حالتين، إما ابتغاء الأجر من الله أو تحسين صورتي لدى إنسان قد أحتاجه أكثر من مرة، وفي حالة محمد فلا أجر وراء ذلك، ولا أريد أن أرى وجهه ثانية، فأنا عزمت أن أجرب مرة واحدة..... ولن أعود إليها بمشيئة الله).....
- كل سنة وانت طيب يا باشا (أعادها محمد مصطفى ثانية)

- وانت طيب يا ميدو.....

- الإكرامية يا بيه (قالها وقد ضاق ذرعاً بي)....

- لا إكرامية ولا هم يحزنون..... حقك سيأتيك، والآن اخرج (قلتها حانقاً عليه وعلي وعلى وضعي الذي وضعت نفسي فيه، فأنا أعرف أني سأقوم بعمل خاطئ أقوم به لأول مرة في حياتي، ولكني اتخذت القرار، إني لا بد أن أجرب، فأصبح هناك صراع بين الحق والباطل في داخلي كان ضحيته أول شخص يجادلني وكان..... محمد مصطفى).....

- طيب يا خلو (قالها محمد مصطفى، ثم استدرك وكأنه يهدد) لا يوجد إكرامية، بعد ما أتيتك بما تريد، وبما تشتهي النفس تفعل ذلك..... حسناً إلى اللقاء.....

فأقفلت الباب وراءه غير آبهٍ به..... وعدت إلى التي جعلت الشيطان ثالثا (نونا)، أجلستها على الكنبة بجواري، ولم يفرق بيني وبينها سوى تنورتها الوردية وبنطلوني الكحلي.....

وبدأنا نتجاذب أطراف الحديث بكلام لا معنى، له ولا أعلم ماذا تقول أو ماذا أقول، كل ما أعلمه أني كنت أريد أن أضيع الوقت وأني وكما يقال..... (متنيل بستين نيله)، ومع مضي الوقت بدأت أتجرأ - وتبا لها من جرأة - وبدأت يداي تتحركان بلا وعي مني

كالأعمى التي تريد أن تلتف حول فريستها لتلتهمها ..... وفجاءة..... وقبل أن أهم بها وتهم بي سمعت طرقا عنيفا للباب..... من يكون يا ترى، حرامي!!!!!! لم تحصل في التاريخ أن اللصوص يأتون البيوت من أبوابها ..... صديق ؟؟؟؟؟؟ أبداً، فالأصدقاء عادة أكثر حنية من ذلك..... إذن من يكون؟..... وفي أثناء تفكيري وارتباكي من هول الموقف بالنسبة لي تبادلت أنا وفتاتي النظرات، يا ترى من الطارق؟..... وقررت وأنا أفكر أن لا أفعل شيئا وأن أستسلم للأمر الواقع، فإن كان حرامي أعطيته ما عندي، وإن كانوا أهلها أعطيتهم بنتهم وهربت كما يفعل أغلب طالبي المتعة في مثل هذه الحالات، فهم لا يفكرون إلا بمبدأ نفسي نفسي، وفي هذه اللحظة ومع الأسف أنا واحد منهم.....

وتصنمت على الكرسي وطأطأت رأسي ووضعته بين يدي ونظري إلى الأسفل منتظراً بماذا سيفاجئني قدري، أما هي فلا أعلم إن كانت قامت أو جلست أو هربت أو حتى انتحرت.....

وفي أثناء ذلك وأنا مطأطئ الرأس وعيناي للأسفل ورأسي بين يداي فوجئت بحذاء أسود رجالي أسفل عيناي ورفعت رأسي تدريجياً وإذا بي أرى بنطلونا من القماش الأبيض، مربوطاً بحزام أسود على جانبه الأيمن بندقية ربع ملم، يعلوها سترة بيضاء بأزرار ذهبية، وفوق الأكتاف نجمتان، وفوق النجمتان وجهه مكفهر، حاقد، شامت تعلوه

قبعة بيضاء في مقدمتها علامة النسر..... وهذه الصفات بالتأكيد ليست لظهير أيسر في منتخب مكاو مثلاً، إنها طبعا بوليس آداب.

- هكذا أنتم يا بقر (قالها الضابط حانقاً) تأتون وتعيثون في أرضنا فسادا ثم تذهبون.....

أما الفتاة فكانت تغدو في الغرفة ذهاباً وإياباً شبه عارية وتضرب على خدها وتولول: يا فضيحتك يا عطيات، يا فضحيتك يا عطيات.....

وبدأ عقلي الباطن يسخر مني قائلاً: عطيات !!!!!!؟ بعد ما كانت (نونا)، لا عجب، فالأفغان في الثمانينيات كانوا مجاهدين وبعد ١١ سبتمبر أصبحوا إرهابيين، فكل شيء جائز في زمن التحولات، وفي أثناء ذلك صرخ أحد العساكر قائلاً: سيدي.....

- ماذا أيضا؟

- (فقال العسكري وكأنه سعيد باكتشافه): سيجارة حشيش.....

- يا سلاااااااام (قلتها بيني وبين نفسي مصدوما بما يحصل غير مقتنع به أبداً).

- (فقال الضابط بحنق): بنت وسيجارة حشيش..... ليلتك طين.

والتفت إلى يساري وإذا بـ (نونا) أو بمعنى أصح (عطيات)

تولول على حالتها الأولى، أما العساكر المرافقين للضابط فهم يفتشون الغرفة شبراً شبراً، تحت السرير، خلف الطاولات، عن أي شئ يدينني، أما أنا فكنت أفكر عن ماذا يبحثون، فبعد الفتاة وسيجارة الحشيش، لم تبق إلا صورة لأسامة بن لادن.....

- سيدي (نادى أحد العساكر الضابط).
- ماذا بعد.....
- لا شيء يوجد
- (فقال الضابط ساخراً): لا يا شيخ..... حسناً خذوهم إلى البوكس.....

ورددت بيني وبين نفسي (بوكس؟؟؟؟؟!!!!!!) كما يحدث في الأفلام..... وزمجر الضابط للعساكر قائلاً: يقصدني أنا والفتاة: خذوهما هيا.....

وغطانا العسكري بالشراشف أنا والفتاة، وكنت في وضع لا أحسد عليه ولم أذكر في هذه اللحظة سوى قول الشاعر:

إن حظي كدقيق فوق شوك نثروه
ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه
صعب الأمر عليهم قال بعض اتركوه
إن من أشقاه ربي كيف أنتم تسعدوه

وركبنا (البوكس)، وعندما وصلنا، أدخلنا مباشرة إلى الضابط المناوب الذي أمر بإجلاسي على الكرسي المقابل لمكتبه وأنا في (نص هدومي)، وأنا عندما أذكر هذه الكلمة (نص هدومي)، فأنا أقصد معناها المعنوي والـ (محسوس).....

فبادرني الضابط بوجهه المكفهر وعيناه المحمرتان وكأنه ضابط يهودي يحقق مع أحد منفذي عملية الحادي عشر من سبتمبر: ما اسمك؟

- خليل.....
- (فقال ساخراً): وماذا أعمل بها؟

(فصمت مستغرباً من سؤاله فكيف يسألني ثم يقول ماذا أعمل بها)

- (فعاد صارخاً): اسمك الثلاثي ياحمار؟
- أرجوك أنا أنسان محترم ولا لزوم لهذه الألفاظ.....
- (فقال ساخراً): محترم؟؟؟؟؟..... ما هو باين..... (فاستطرد بسخرية قاتله) اسمك يا حبيب ماما.....
- (قلت وأنا أحاول أن أكتم غيظي): خليل أحمد العبد الله.....

(فاستكمل التحقيق معي وسط إجراءات وطريقة تعامل أقل ما يقال عنها إنها حيوانية، ربما ألتمس له العذر في قضية مثل

قضيتي..... ولكن عزائي أن الله يعلم أنها أول مرة، وآخر مرة إن شاء الله).....

الساعة العاشرة صباحاً، أخرجت من المكان الذي كنت فيه بعد أن اتصلت بصديقي مدير عام الفندق الذي أسكن فيه بحكم علاقاته واتصالاته المتعددة انتهى الموضوع على خير.....

ودخلت الفندق، وصعدت إلى الغرفة وحيداً، حزيناً وسعيداً في الوقت نفسه، حزيناً لأني طاوعت شيطاني، وسعيداً لأن الله أنقذني في آخر لحظة من الوقوع في الزلل.....

ونظرت إلى ساعتي حيث لم يتبق على موعد إقلاع الطائرة إلى الرياض سوى أربع ساعات تقريباً..... لملمت حاجاتي، ورتبت حقيبتي، وعملت الـ (chich out) وشكرت مدير الفندق على وقفته معي في أثناء التحقيق، وكان على باب الفندق سائق أجرة آخر بدلاً عن محمد مصطفى الذي عرفت فيما بعد أنه كان السبب في إبلاغ شرطة الآداب عني بسبب أني لم أعطه (إكرامية)، وكان ذلك نوعا من الانتقام منه..... عموماً شكرا يا محمد يا مصطفى على انتقامك، فقد أنقذتني دون أن تدري بعد أن كدت لتردين.....

وبعد أن سلمت على فهد (وظلاله) أقصد بدر اللذين لم يتوقفا عن مداعبتي والسخرية مني بسبب الموقف الذي وضعت نفسي فيه

اتجهت إلى المطار، وبعد أن انتهت جميع الإجراءات النظامية على خير ركبت الطائرة، وجلست على المقعد المخصص لي، وبعد ذلك ربطت الحزام واسترخيت، وبدى طيف ذاك الضابط الذي دخل علي في الشقة وبتلك الوقفة المرعبة والوجه المكفهر، وصورة محمد مصطفى وابتسامته الصفراء في المصعد وكيف تحولت تلك الابتسامات إلى عينين يتطاير منهما الشرر بسبب مبلغ من المال أو (إكرامية) إذا صح التعبير لا تزيد عن قيمة وجبة في أحد مطاعم الوجبات السريعة، وبـ (نونا) التي تحولت بقدرة قادر إلى (عطيات)، وهززت رأسي يمنة ويسرة بشكل غير ملحوظ فتنهدت بيني وبين نفسي وتمتمت قائلاً: تباً لك أيتها القاهرة.....

والتفت إلى الشباك لألقي النظرة الأخيرة على القاهرة التي قررت ألا أعود إليها أبداً، وإذ بالأنوار تسطع من الأسفل وكأنها الأنجم في السماء، وإذا بالنيل كأنه كوكب دري يشق طريقه بين النجوم منذ فجر التاريخ، وإذا بابتسامة العم فتحي كأنه البدر بين هذه النجوم، وعاودتني ذكريات أيامي الجميلة في القاهرة طوال رحلاتي إليها، وتلك الفتاة التي قابلتها منذ سنتين في إحدى المكتبات والتي لم يمنعها حجابها والتزامها من أن تكون أكثر جاذبية من غيرها..... فليس كل الفتيات مثل (نونا) ولا الجميع مثل محمد مصطفى، ولا الضباط كذاك (المكفهر المتشنج بلا سبب) وبدأ لساني ودون إرادة مني يلهج بذاك البيت الشهير.....

لكل شيء إذا ما تم نقصان ..... فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول..... من سره زمن ساءته أزمان

وعلى الرغم من ذلك.....

عائد إليكِ أيتها الساحرة.....

خليل أحمد

obeikandl.com

obeikandl.com

السكوت ... علامة الرضا

obeikandl.com

obeikandl.com

مبروك..... السكوت علامة الرضا...

قالها لي أبي بعدما أخبرني بأن هناك شاباً قد أتى لخطبتي، وفي لحظتها.... لم أعرف أرد، ولم أستطع أن أقول شيئاً..... فالموقف بالنسبة لي كان مفاجئاً، فأنا لم أزل في التاسعة عشرة من عمري ولا زلت صغيرة على الزواج..... أو على الأقل هكذا كنت أعتقد.....

«آآآآآآه» خرجت من صدري عندما تذكرت كلمة أبي «السكوت علامة الرضا»، وهل السكوت فعلاً علامة الرضا، أم أنه أبلغ رد للرفض أحياناً، أو في أسوأ الأحوال..... ربما علامة الاندهاش.....

نعم.... إنه الاندهاش، فأنا إلى البارحة فقط كنت مع صديقاتي نتسامر في (لاشيء)، ونضيع وقتنا في (لاشيء) وكل يوم في حياتي أنا وصديقاتي وقريباتي يضيع في (لا شيء) وعلى الرغم من تكرار هذا الـ (لاشيء) إلا أنه بالنسبة لنا كان أجمل (شيء)، بل إننا ننتظر اجتماعنا القادم من أجل (لا شيء) جديد، وهكذا كانت لياليا وأيامنا، إلا هذا اليوم..

فما حدث فيه لم يكن (لا شيء) بل أنه أهم (شيء) في حياة أي فتاة، وأحيانا بسببه يكون لا حياة للفتاة، وأحياناً أخرى يكون هو كل حياة الفتاة، فهي (أرزاق) إما أن يكون بداية النهاية أو نهاية البداية.....

اسمه إبراهيم، يبلغ من العمر ٢٥ سنه، أسمر البشرة طويل القامة..... (زي الناس) لا عيب فيه ليرفض ولا ميزه به فيقبل، فهو شاب ككل الشباب.... موظف حكومي، (سمعنا) أن أخلاقه محترمة، و (سمعنا) أن عائلته محترمة، و(سمعنا) أن وظيفته محترمة، و (سمعنا) الكثير عنه..... ألم أقل لكم أنه لا عيب فيه.....

و (سمعنا) أنه درس في السعودية، و (سمعنا) أن يريد أن يتزوج ليكون أسرة، و(سمعنا) أنه سافر كثيراً سابقاً ولكنه تخلى عن هذه العادة عندما أراد أن يتزوج ويكمل نصف دينه، وأنه (عقل) وترك حركات الشباب القديمة..... ألم أقل لكم إنه لا ميزة فيه.....

و (سمعنا) عنه كل شيء، هناك من صدق، وهناك من جامل، وهناك من وشى.....

إنه ككل الشباب، لو قبلته لأصبت، ولو رفضته لما أخطأت.....

الغريب في الموضوع هو توقع أبي بأن سكوتي كان (علامة رضا) ولا أعرف هل هو توقع ذلك فعلاً، أم أنه (أرادها) كذلك.....

وفي صباح اليوم التالي، وبعد ليلة لم أذق فيها طعماً للنوم، فاجأتني أختي الصغرى وأنا جالسة على سريري: مبروك يا أمل....

- فتنهدت قائلة: الله يبارك فيك.....
- لعل المانع خير؟ (تسآلت مستغربة)...
- وقلت دون أن أنظر إليها: أبد خير...
- شكلك لا يوحي بذلك أبداً....
- (فقمت من السرير متجهة خارج الغرفة، وكأني لا أريد أن أسمع كلاماً عن هذا الموضوع): إذا كبرتي تفهمين..... (قلتها مع أني غير مقتنعة بذلك، حتى أني ابتسمت ابتسامة داخلية ساخرة من نفسي (إذا كبرتي تفهمين)..... كيف خرجت مني هذه الكلمة، وأنا في الأساس لا أفهم لماذا هذا التردد، بل والأدهى والأمر أن الفارق بيني وبين أختي لا يتجاوز السنتين فكيف أقول (إذا كبرتي تفهمين)..... ولكنها على أي حال قد خرجت من لساني.....

ونزلت إلى الأسفل، ودخلت المطبخ، لا أعلم لماذا، ولكني كنت فقط أريد أن أعمل شيئاً، ففتحت الثلاجة، وأخذت قليلاً من

الخضراوات، ووضعتها على الطاولة، وأخرجت سكيناً لأقطع هذه الخضراوات وأقطع معها همي..... أو بالأصح (ترددي)....

وأثناء ذلك دخلت علي أمي وقالت): جهزي نفسك اليوم سيأتي إبراهيم ليراك.....

- ونسيت نفسي والسكين والخضراوات، وقلت مندهشة من هذه المعلومة المفاجئة: ماذا؟
- أمي (مؤكدة): اليوم الموعد مع إبراهيم...
- ولكن.... أخ....
- (وقالت أمي بعدما رأت أثر الجرح الناتج من احتكاك السكين على أصبع يدي اليسرى): انتبهي لنفسك يا بنت...
- (فقلت وأنا أتحسس أصبعي المجروح بفمي): بصراحة فاجأتني بهذا الخبر....
- قلنا لك البارح إنه في إنسان تكلم بخصوصك..... صح؟
- صح.... لكن...
- معنى هذا الكلام أنه سيأتي اليوم...
- لا ..... لم تذكروا شيئاً بخصوص زياراته...
- (فقالت أمي دون أن تعير لاعتراضاتي أي اهتمام): المهم..... الرجل واعدناه اليوم، بعد صلاة العشاء...

- (وصرخت قائلة): بعد صلاة العشاء؟!!!!!

- نعم..... بعد صلاة العشاء.... وما المشكلة؟

(وكظمت غيظي بعدما رأيت أمي غير مبالية بي أبداً، فالظاهر أن الموضوع قد تقرر بينهم من (طقطق لسلام عليكم)، دون أن يكون لي علم بشيء.... والموضوع كله (كوم)، وكونه يأتي بعد صلاة العشاء (كوم ثاني)، فاليوم الخميس وهو موعدي مع صديقاتي لنضيعه في (لا شيء) جديد..... وعموماً (ما لي أنا إلا الصبر) لعلي أرى اخرتها مع هذا المدعو إبراهيم.....

وبعد صلاة المغرب، وقبل موعد (بسلامتو) بساعة تقريباً بدأت أفكر ماذا ألبس، وماذا أفعل؟!، هل ألبس أجمل ما عندي أم ألبس أسوأ هدومي، هل أجمل نفسي أم أقبحها..... لا أعلم لماذا كرهت هذا الشخص فعلاً.... مع أنه والحق يقال جميع ما (سمعت) عنه لا يعيبه بشيء، بل على العكس ربما يغري بعض الفتيات بقبوله، ولكن معي أنا..... لا، ربما يعود ذلك للطريقة التي يسير بها الموضوع حتى الآن، مفاجأة تلو المفاجأة، بدأت بالخبر والذي بحد ذاته يعتبر مفاجأة لم أكن أتوقعها، ثم بعد ذلك موقف أبي الذي لم ينتظر كثيراً إلا وفاجأني بقوله: «السكوت علامة الرضا»، وكأنه لم يصدق أن تأتي له الفرصة ليتخلص مني وثالثة الأثافي، و (ما زاد الطين بله) موعد قدومه الذي لم أستشر فيه، وما خفي.... (أخشى) أن يكون أعظم....

وفتحت الخزانة، ودونما اهتمام وضعت يدي على أول بلوزه، وأول تنورة ولبستهما، وبعد أن رأيت نفسي في المرأه أحسست بأن هناك نوعاً من (الخلطة بيطة) في الموضوع، ولكن لا يهم، فالأمر من بدايته لم يعد يهمني، حتى إن أختي التي تكبرني مباشرة دخلت علي واستنكرت قائلة: ما هذا يا أمل؟

- (قلت لها بلا مبالاة): وما المشكلة؟
- ما المشكلة؟!!!!!..... صاحية أنت؟! بالله عليك هذا منظر واحدة تقابل خطيبها؟!!!
- لو سمحتي.... إلى الآن هو ليس خطيبي.....
- (فقالت محاولة ترطيب الجو بعدما رأت عصبيتي في الرد): على اعتبار ما سوف يكون.
- عندما يكون..... فلكل حادث حديث....
- (وقالت وقد وضعت كف يدها اليمنى على خاصرتها، وهي تشير علي من الأعلى إلى الأسفل بسبابة يدها اليسرى): ولكن بهذا الشكل، لا أعتقد أنه سوف يكون.....
- (ودون أن أبدي استنكاري صراحة من حركتها تلك قلت):عمره ما كان....
- (ثم سحبتني من كتفي سريعاً وأجلستني على الكرسي وسحبت كرسي وجلست عليه، وبدأت توجه لي الكلام وجهاً لوجه

بهدوء): يا غبيه.... ما هي مشكلتك؟

- (فقلت مترددة): لا أدري..... ولكن قلبي مقبوض....
- مقبوض من ماذا؟
- لا أدري، ولكني لا أريده.....
- (فقالت أختي بهدوء وهي التي مرت سابقاً بنفس التجربة ولديها الآن ثلاثة أبناء "مثل القمر"): لا تريدنه؟..... أم لا تريدين الزواج؟..... أم إن المفاجأة تخيفك؟!!!
- ربما جميعاً.....
- حبيبتي أمل..... كلنا مررنا بنفس التجربة..... وكلنا كان يأتينا نفس الخوف والتردد، ولكن في النهاية نترك الأمور تمشي على ما هي عليه، وفي النهاية الخيرة فيما اختاره الله...
- فعدت أكثر حزماً: ولكني لا أريده!
- فابتسمت نوره، وكأنها فهمت مخططي: ومن أجل ذلك لم تتزيني؟!
- فجاوبت مؤكدة لتعلم بأنها لا تهمني بشيء: نعم....
- فزادت ابتسامتها عن ذي قبل: مجنونة..... طول عمرك مجنونة...

- فأسندت ظهري على الكرسي، وكتفت يداي ورميت عيناي إلى سقف الغرفة وقلت بحزم: نورة..... لو سمحتي اطلعي....
- فسحبتني بيدها اليسرى مع ذقني إلى أن أصبحت عيناي بعينيها مباشرة: أنت البسي زين وإذا لم يعجب بك ولم تعجبي به كان بها، (ويا دار ما دخلك شر)....، لكن المشكلة إذا أنت أعجبت به وهو لم يعجب فيك.... ولحظتها ستعودين وتقولين ليتني كنت تزينت وتجملت «ويااليت اللي جرى ما كان».....
- فنظرت إلى السقف ثانية وقلت ساخرة: أعجب فيه؟ والله لو أنه (توم كروز).
- "توم كروز"؟!..... صدق إنك غبية ومجنونة..... الرجل يأتي إليك ويطلب يدك ويريدك على سنة الله ورسوله، وأنت تقولين توم كروز!!
- ورمقتها بطرف عيني: ولكني لا أريده.....
- وقامت وكأنها قد يئست مني، وقبل أن تخرج من باب الغرفة التفتت إلي وقالت: حبيبتي أمل..... اسمعي هذه النصيحة من أختك الكبيرة والتي تحبك موت..... أن تقبلي برجل يريدك خير لك ألف مرة من أن تذهبي لرجل تريدينه..... (ولوحت بيدها وقالت): سلام ولا تتأخري فالضيوف تحت.....

وبدأ كلامها (يرن) في أذني ..... وبدأت وكأني على وشك

الاقتناع بكلامها، ولكن عزة نفسي، أو بالأصح (غروري) يرفض أن أعترف بذلك أمامها، وعدت إلى خزانتي، وغيرت هدومي وارتديت شيئاً مقبولاً، ليس الأفضل بالتأكيد، ولكنه على الأقل «أكثر منطقية» من السابق.....

وفي الساعة العاشرة من مساء اليوم طلب مني والدي النزول حتى يراني إبراهيم وأراه، ولكن الذي حصل هو أنه رآني وتفحصني بل وأحس وكأنه (أكلني) بعينيه، أما أنا..... فالشيء الوحيد الذي تمكنت من رؤيته هو..... ركبتي اليمنى!!!!!!!!

وكلما رفعت رأسي لأراه، أحسست وكأن الدنيا أمام عيني (ضباب) وقطرات من (الندى) وكأن هناك يد تسحبني من ذقني إلى الأسفل، بل وكأن هناك مطرقة على رأسي تمنعني من الارتفاع..... أحسست باختصار وكأن هناك مجالاً للرؤية قد وضع لي، وحدوداً أحرك بينها رأسي.....

وكان كلما سألني عن شيء أجيب بأن أهز رأسي بالإيجاب، حتى أبي وأخي الموجودين معنا في المجلس نفسه عندما كانا يتكلمان كنت أهز رأسي بالإيجاب..... في الحقيقة لم أعد أميز الأصوات فقد اختلطت جميع الأصوات عندي، من صوت أبي وأخي و (عريس الغفلة)، ولم أحس إلا بيد أبي وهي تسحبني إلى الخارج قائلاً: أمل يا بنتي... ادخلي.....

"آآآآآآآآآآآآآه" رددتها بيني وبين نفسي "كان هماً من خيال فهوى".....

لا أدري ما الذي حدث لي..... أهو الخجل؟..... أم الخوف؟..... أم التردد... حقيقة لا أدري... ودخلت سريعاً إلى غرفتي وأقفلت الباب على نفسي، فأنا لا زلت مندهشة من الموضوع من بدايته إلى نهايته، ولكن ما زاد ألمي وأسفي أني لم أتمكن من رؤيته حتى أحكم وأقرر القرار النهائي، وفي هذه اللحظات سمعت طرقاً عنيفاً على باب غرفتي وإذ بالطارق أختي نوره الكبرى، وأختي إيمان الصغرى التي صرخت: هاه..... كيف الأمور؟

- الله أعلم.....
- سبحانه..... ولكن رأيك أنتِ؟
- رأيي..... لا أعتقد أنه يهم أحداً.....
- بالعكس.... أنتِ أهم رأي في الموضوع....
- الحقيقة (وكتفت يداي خلف ظهري وبدأت أمشي في غرفتي بخطوات حائرة): أحس أني مترددة.....
- دققتِ فيه حتى تحكمي عليه.....
- (فهززت رأسي بالنفي)....
- مجنونة..... كيف تفوتين على نفسك فرصة مثل هذه.....
- واتجهت نوره إلى شباك الغرفة سريعاً وقالت: عادي "ما فات

إلا الشر"، (وفتحت الستارة بهدوء وقالت): أمل..... تعالي.... تقدرين تلمحينه من هنا وهو طالع....

- ولم أتحمس للفكرة كثيراً، ولكن على الأقل فهذا شيء أحسن من لا شيء، إلا "لا شيئي" أنا وصديقاتي، فهو "لا شيء" أحسن من كل الأشياء.....

واقتربت من شباك الغرفة، وفتحت الستارة بهدوء بعد أن أطفأنا أنوار الغرفة حتى لا يتمكن أحد من رؤيتنا، وإذ "بسلامتو" يسلم على أبي ويهم بالخروج من البيت..... وبدأت أختاي تحسداني عليه، فهذه نوره تقارن بين طوله وقصر زوجها، ورشاقته بسمنة زوجها، أما لون بشرته فقد هامت به أختي إيمان..... أما أنا فلم يحرك في ساكناً، وإن كنت أحسست بعد قليل بـ (بداية قبول) من ناحيته، ربما لحديث أختيّ عنه أكثر من كونه إعجاباً به....

ومع مرور الوقت، بدأت أحس بميل أكثر ناحية إبراهيم، فهو على الأقل ليس بذاك السيئ (أحسن من غيره)، ثم إن أخلاقه (حتى الآن على الأقل) مميزة، وإن ما (سمعنا) عنه وعن أخلاقه واضح جلي أمام عيني، وأيضاً لسانه العذب وروعة كلامه أذابت كل الحواجز بيني وبينه، طبعاً (إلى الآن على الأقل)..... حتى إني أحياناً لا أنام الليل فعذوبة كلامه تخيفني، (وهل سيستمر على ذلك؟) أم أن الموضوع فترة (ملكه) فقط لا غير....

- سبحان الله..... تحبين دائماً تشغلي نفسك بأشياء لا معنى لها..... (قالتها أختي نوره بعد أن صارحتها بما في نفسي)...
- طيب والحل؟
- الحل يا عزيزتي أن تعيشي كل مرحلة بحلاوتها، واتركي الغيب لصانع الغيب..... أما المشاكل فهي ستأتي لك مثلما أتت لغيرك، وستأتي لغيرك مثلما أتت لغيرهم، المهم أن نؤمن بقضاء الله وقدره فقط لا غير.... ومثلما يقولون في الأمثال: «أسأل مجرب ولا تسأل طبيب».

(وكالعادة..... أختي نورة بحكمتها، وعقلها الكبير والذي يغبطها عليه كيرون تصل أحياناً لحد الحسد، تكون هي الباب الذي يقفل علي وساوس الشيطان....).

وبعد ثلاثة أشهر من أول لقاء، تم تحديد كل شيء تقريباً من المهر إلى (عش الزوجية) ومكان الزفاف، وشهر العسل..... إلخ، ولم يبق على الحفل سوى شهر واحد تقريباً....

كل شيء بالنسبة لي مر سريعاً، من مفاجأة إلى الأخرى، ولم يكن لي خيار في تلك المفاجآت إلا القبول أو (الرضى)، وكنت في وسط هذه (الأحداث) كالوردة الحمراء التي تنتظر (زارعها) إما أن يسقيها ويرعاها فيحافظ عليها من الذبول، أو أن ينساها للزمان حتى تجف.....

وعلى الرغم أنه وفي تلك الفترة، بدأ إعجابي وتقديري لإبراهيم يزيد، بل وأحسست بشيء في قلبي (يخفق) من ناحيته، وعلى الرغم أيضاً من أن كل شيء قد تم، فـ (المهر) دفع و(الشبكة) وصلت، و (الملكة) تمت.... إلا أني لا زلت مترددة في قبوله، ولا زلت خائفة من المستقبل، وأتمنى لو أن الله يقدر أي شيء حتى لا يتم هذا الزفاف... ولو سألني أحد لماذا؟..... لقلت لا أعرف.... ربما لإحساسي بأني سوف أفقد أشياء كثيرة أهمها سهرة (اللاشيء) الأسبوعية.... ولكن لا أقول سوى جزى الله أختي نورة كل خير، فكلما أتذكر كلمتها «عيشي كل مرحلة بحلاوتها، واتركي الغيب لصانع الغيب» أرتاح قليلاً، بل وأزداد نشاطاً في إتمام تجهيزات (العرس)، وكما قالت هي سابقا «الخيرة فيما اختاره الله».

قلبي اليوم يزداد خفقاناً ساعة بعد ساعة، فقد وصل اليوم الموعود، الليلة سأزف لإبراهيم، ولا وقت لدي اليوم، فكل شيء يمضي بسرعة، وكل دقيقة تسابق أختها .....

(الكوافيرة) تقوم بآخر التجهيزات، وأختي نوره تنسق مع (الصبابات)، وكيفية أداء عملهن وتوزعهن على مجموعات، كل مجموعة تخدم على جهة، أما إيمان فقد استلمت مع والدتي عملية مراقبة آخر تجهيزات الصالة، أما والدي وإخواني فهم في البيت (الله أعلم) ماذا يعملون فقد كان انتباهي مشتتاً وأنا ألملم بعض

الحاجات من الغرفة التي أودعها للمرة الأخيرة.... (على أمل اللقاء بها ثانية)، ولكن بالتأكيد في ظروف مختلفة، تلك الغرفة التي عشت فيها ما يقارب العشر سنوات بعد أن تركنا بيتنا السابق.....

تلك الغرفة التي جلست فيها أنا وصديقاتي سهرات عامرة وحافلة بـ (أشياء) كثيرة، وأحلى ما فيها أنها تنتهي بـ (لا شيء).....

لا أدري... هل (أحزن) أم (أفرح)، لا شك أن الزواج جميل وهو أمنية كل فتاة وشاب وهو نصف الدين، ولكنه ليس كل الجمال، فهناك أيضاً أشياء أخرى جميلة....

ولا شك أيضاً أنه وكما يقال (ضل راجل ولا ضل حيطه)، ولكن أيضاً فإن شعاع الشمس ربما يكون أفضل أحياناً..... ولكن بحدود.

وبدأت مراسم الحفل، وبدأ الناس يتوافدون، وبدأت لحظة (الزفة) وبدأ معها (همها) و (سعادتها)، شعور متناقض انتابني حينها... فقد أحسست فعلاً أن الأرض (ستنهد) من تحتي، ولكن ليس لأن ما عليها (قدي)، ولكن لأن قدي لم يستطع أن يحملني، وأحسست وأني كلما اقتربت من (الكوشة) خطوة ابتعدت عني عشر خطوات، وتمنيت ساعتها لو أن الأرض تنشق وتبتلعني.....

وأخيراً.... وبعد مسافة لا يعلم بها إلا الله ثم من حسبها وصلت.... وارتاحت قدماي من (طول المشوار)، إلا أن قلبي لا يزال

يخفق بشدة، بل وأن دقاته تزيد أكثر فأكثر، فنظرات الحاضرات تكاد تقتلني، وأفكاري المتناقضة عما يدور في خواطرهن ناحيتي تحرقني....

وبدأت قريباتي وصديقاتي يتوافدن علي زمراً، زمراً.... فهذه تهنئ، وتلك تسلم، والأخرى تصور، أما أنا فأسبح في عالم من الضياع والارتباك.... حتى صديقات سهرة (اللا شيء) كل واحدة منهن تريد أن تأخذ نصيبها من الصور والتهاني قبل دخول (المعرس).

وبعد فترة من الزمن.... تركني الجميع، وأصبحت وحيدة على الكرسي، وهدأت خلالها قليلاً بفضل الله ثم وقوف أمي بجانبي و(إبر) نورة المهدئة.....

حتى أتت اللحظة الحاسمة، لحظة زفة (المعرس)، ومنذ أن قالتها أختي لي (استعدي للمعرس) بدأ قلبي يخفق من جديد بعد أن هدأ قليلاً، وبدأت لا أفرق بين صوت قلبي وبين قرع طبول (الطقاقات) المرحبة بدخول (المعرس) والذي اصطحب معه والده، ووالدي وإخواني ومنهم علي ذو الاثنين والعشرين ربيعاً والذي يبدو لي أنه دخل من أجل أن (يتمیلح).....

وعاد الموال نفسه من جديد، فلاشات، وإضاءات، وكلي أمل أن تنتهي هذه اللحظات على خير، بالرغم من ابتساماتي التي تخفي عبراتي من الداخل.....

وانتهى الحفل....

ودخلت أنا و (عريسي) إلى الغرفة والتي حجزها لنا في أحد الفنادق الراقية، وجلست على (طرف) السرير بكامل (عدتي وعتادي) بداية بفستان الفرح ونهاية بالورود المحمولة بين يدي.....

وأحسست حينها برغبة شديدة في البكاء، وبدأ صراع داخلي بيني وبين دموعي، سلاحي الوحيد فيها بعد توفيق الله هي عيوني، والتي حاولت من خلالها أن أصطاد دموعي بأهدابي وأمنعها من الهرب، حتى لا تفضح ما بداخلي من قلق وتردد و..... (مأساة)، وتمكنت بكثير من الجهد من الانتصار على دموعي ولو مؤقتاً، وعادت بعدها دموعي إلى قلبي لتذيبه (هماً).....

وأثناء ذلك، رفعت رأسي وإذ بإبراهيم قد (علق البشت) على (المعلاق) واقترب مني دون أن يخلع (غترته)، وجلس يميني على السرير، وبدأ بباطن يده اليسرى يتحسس خدي الأيسر، ثم أدار وجهي ناحيته، وبعد أن التقت عيناي بعينيه لم أعرف لحظتها ..... هل بدأت حياتي؟

أم أنها ..... انتهت.

أمل سالم